كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

البناءُ الصرفيُّ للاسمِ الممدودِ ودورُه في إيصالِ الصوتِ والفكرةِ

(دراسة تطبيقية على معلقة الحارث بن حلزة)

إعداد

د. التجاني إبراهيم محمد إسماعيل

أستاذ النحو والصرف المساعد
بجامعة تبوك بالمملكة العربية السعودية
وجامعة الخرطوم بالسودان

(العدد السابع والثلاثون الجزء الأول ٢٠١٨م)

مُسْتخلصُ البحثِ

تهدُفُ هذه الدراسة إلى بيانِ دَوْرِ البناءِ الصرفيِّ للاسمِ الممدودِ في إيصالِ الصوتِ ، ومن ثَمَّ تأدية الأفكار والمعاني التي يرمي إليها المتكلم أو الشاعر . وتتخذُ الدراسةُ مجالَ الشعرِ ميداناً لها ، واخْتَرْنا لذلك معلّقةَ الحارثِ بنِ حِلّزةِ اليَشْكُريّ البكريّ – التي ارْتَجَلَها وقتَئذٍ – مجالاً لتطبيق فكرة البحث . فهناك ظروفٌ اجتماعيةٌ معيّنةٌ أنْتجت نصَّ المعلّقة ، وهناك تقليدٌ اجتماعيٌّ – كذلك – جعل الشاعرَ يُنشِدُ قصيدته من وراءِ سَجْفٍ وحُجُبٍ ، ورُغْماً عن هذا وذاك ، فقد نال الشاعرُ مبتغاه ، وتحققَ له ما كان يصبو إليه . وكان الشاعرَ قد استخدمَ الاسم الممدودَ مُصَرِّعاً به قصيدتَهُ وجاعلَهُ قافيةً لجميع أبياتها . فما الظروفُ الاجتماعيةُ التي أنتجت النصّ ؟ ولماذا ارْتجلَ الشاعرُ النصّ ارتجالاً ؟ ولماذا أنشده من وراء الحُجُب ؟ وما أثرُ هذه المواقفِ كلِّها في تخيُّرِ الشاعرِ للاسم الممدودِ ليُصَرِّعَ به قصيدتَهُ ويجعله قافيةً لها ؟ وما دور البناءِ الصرفيِّ للاسم الممدودِ في إيصال صوتِ الشاعرِ وتأديةِ أفكارِه ؟ تحاول هذه الورقة – إنْ شاءَ اللهُ – الإجابة عن هذه الأسئلة ، للوصولِ إلى بعضِ النتائجِ في هذا المِضْمارِ .

Abstract

The present study aimed at highlighting the role of the morphological construction of the Mamdud (elongated) noun– a noun ending with a hamzah and preceded by along alif– in conveying the meanings targeted by the speaker or poet. The study restricts its scope to the field of poetry . For the purpose of the present study, we have selected the Mu'allaqa (Ode) of Harith Bin Hilaza Alyashkuri Al Bakri which he improvised as acase study. There were certain social circumstances that produced the text of the Ode, and there was a social tradition that made the poet read his poem in disguise. In spite of all that , the poet could achieve what he aspired for. The poet used the Mamdud noun at the beginning of his poem, in the first and second hemistiches of the first line and as a rhyme for all the lines of the poem.

What were the social circumstances that produced the text? Why did the poet have to improvise the text ? why did he read it from behind a cover? And what was the effect of all these situations in the choice of the Mamdud noun as a rhyme for the poem? And what was the role of the morphological construction of the Mamdud noun on the delivery of the poet's thoughts?

The study tries– with the will of ALLAH– to answer all the above questions and arrive at some conclusions in the same regard,

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسعى لبيان الصفات والمِيزات التي يتّسمُ بها الاسم الممدود بين كلمات اللغة العربية ، ممّا يُبرزُ قيمتَه الأدائية الفاعلة لأبناء العربية ولغيرهم من الناطقين بها ، فبالقَدْرِ الذي تكفُلُه الكلمات الأخرى من التعبير عن حوائج المتكلمين بالعربية ، فإنّ للاسمِ الممدودِ السهمُ الوافي من هذه الكفالة ؛ إذ إنّه يساعدُ المتكلم على الخروج بصوته عن دائرة الأسماع القريبة منه إلى دوائر أرحب وفضاءات أوسع .

وهناك أهميّة أخرى لهذه الدراسة ، وهي التي تظهر من خلال الجانب التطبيقي على إحدى معلقات الشعر العربيّ ، لبيان ما تعلبه البنية الصرفية للاسم الممدود من دوْرٍ في شأن الإسْمَاع وأداء المعنى .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى الدراسة والتنقيب في أمرين :

أوّلُهُما : دراسة الاسم الممدود من حيثُ بنيته الصرفية ، وسببِ المدِّ فيه ودور المقطع الأخير منه في إنْشاء المَدِّ ، ومن حيثُ قسمَيْه : القياسيّ والسماعيّ والمقاييس التي تُمِيّزُ القياسيَّ منه من السماعيِّ .

وثانيهما : بيان دور البناء الصرفي للاسم الممدود في إبلاغ الصوت والفكرة ، تطبيقاً على معلقة الحارث بن حِلّزةِ البكريّ التي ارتجلها ارتجالاً أمام الملك عمرو بن هند في ذاك اللقاء الذي عقده الملك ليصلح بين قبيلتي بكْرٍ ، وتغلِب ابني وائل .

وهذه الدراسة تقوم على فَرْضِيّة أنّ الحارِثَ بنَ حلّزة حين ارتجل هذه القصيدة أمام الملك عمرو بن هند وجَمْعِه ، كان قد عَمَدَ إلى استخدام همزة المدّ

ليُعينه ذلك على إبلاغ صوته وإيصاله للمَلِك إذ إنّه كان ينشُدُ من وراء الحُجُب لأنّه كان أسلعَ . فيأتي هذا البحث ليبرهن على صِحّة هذه الفرضية من خلال هيكلته وتفاصيله الواردة في متنه.

سبب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة :

من خلال اطّلاعي المُتأنّي على معلّقة الحارث بن حلّزة ، وعلى مناسبة إنشادها ، لاحظتُ أنّ ثَمّة اتّصالاً بين مناسبة القصيدة وارتجالها من جِهةٍ ، وبين قافيتها التي بُنيت على الاسم الممدود من جهةٍ ثانية ، مما دفعني إلى تكوين فكرة هذا البحث ، لِأبيّن من خلاله الدور الذي يمكن أن يلعبه البناء الصرفي للاسم الممدود في بلوغ المعاني وأدائها . ولمّا كانت هذه القصيدة من بنات العصر الجاهلي ،متمتعةً بصفات النصوص الشعرية والنثرية المُستشهَدِ بها في اللغة والنّحو ، والصرف – فإنّ ذلك يجعلُها صالحة لأنْ تكون مجالاً خِصْباً للتطبيق الصرفي والنحوي وغيرهما من مجالات التطبيق اللُّغويّ . على أنّني لم أعثر على أيّ دراسةٍ علمية سابقة تتعلق بموضوع البحث ، لا في شقّه الأوّل الذي يتعلق بدراسة البناء الصرفي للاسم الممدود ، ولا في شِقِّه التطبيقيّ على معلّقة الحارث ابن حلّزة ، ولا غيرها من الشعر العربيّ .

هيكل البحث :

جاء هذا البحث في مقدمةٍ ، ومَبْحَثَينِ ، وخاتمةٍ لعرض النتائج والتوصيات .

وشملت **المقدمة** : أهمية موضوع البحث ، وأهدافه ، وفرْضياته ، وأسباب اختياره .

ثم كان **المبحثُ الأوّل** بعنوان : (البناء الصرفي للاسم الممدود) وجاء تحته مدخلٌ وثلاثة مطالب ،

المطلب الأول بعنوان : الممدود القياسيّ والسماعيّ .

والمطلب الثاني بعنوان : أوزان الممدود القياسيّ .

والمطلب الثالث بعنوان : خواصّ البناء الصرفي للاسم الممدود .

ثم كان **المبحثُ الثاني** للدراسة التطبيقية تحت عنوان (الاسم الممدود في معلقة الحارث بن حِلّزة)

وجاء تحته مدخلٌ ، وثلاثة مطالب .

فالمطلب الأول تحت عنوان : الظروف الاجتماعية التي أنتجت نصّ المعلقة .

والمطلب الثاني جاء بعنوان: تَخَيُّر الشاعرِ للاسم الممدود .

وجاء **المطلب الثالث** بعنوان : التحليل الصرفي للاسم الممدود داخل نص المعلقة .

ثمّ ختم البحث بأهم النتائج والتوصيات .

المبحثُ الأوّلُ

البناء الصرفي للاسم الممدود

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الممدود القياسيّ والسماعيّ .

المطلب الثاني : أوزان الممدود القياسيّ .

المطلب الثالث : خواصّ البناء الصرفي للاسم الممدود .

المبحثُ الأوّلُ

البناء الصرفي للاسم الممدود

إنّ الاسم عند الصرفيين واللغويين ينقسم أربعة أقسام : اسمٌ صحيحٌ ، وهو ما ليس في آخره حرفُ عِلّةٍ ، أو همزةٌ قبلَها ألفٌ زائدة ، مثل : رَجل ، وجبلٌ ، وجاريةٌ . واسمٌ منقوصٌ ، وهو المعربُ الذي آخره ياءٌ لازمةٌ مكسورٌ ما قبلها ، كالقاضِي ، والراعِي ، والمُسْتهدِي . واسمٌ مقصورٌ ، وهو المُعربُ الذي آخره ألفُ لازمةٌ ؛ كالهُدَى ، والأعْلَى ، والدُّنيَا . واسمٌ ممدودٌ ، وهو الذي حرفُ إعرابِه همزةٌ قبلَها ألِفٌ زائدةٌ ، وهو موضوع دراستنا .

والاسم الذي آخره همزةٌ قبلَها ألِفٌ زائدةٌ ، وَسَمَهُ الصرفيّون بالاسم (الممدود) قال ركن الدين الاستراباذي ، شارح شافية ابن الحاجب : (وسمّيَ الممدودُ ممدوداً لأنّ ألفَه تُمدُّ لأجل وقوع الهمزة بعدها)[1] ، وفضلاً عن مد الصوت الذي ينشأ عند النطق بالاسم الممدود فإنّ النحاة سمَوه ممدوداً لجعلهم إيّاه في مقابلة الاسم المقصور ؛ فمنهم من زعم أنّ الاسم المقصور سُمّي مقصوراً لأنّه قُصِر عن الإعراب ، أي مُنع منه ، ومنهم مَن زعم أنّه سمي كذلك لأنّه قُصِرَ عن الغاية التي للمد ، ألا ترى أنّ الألف أطول ما تكون مدّاً إذا كان بعدها همزة ، فإذا لم يكن بعدها همزة قُصُرت عن الغاية التي كانت لها من المد مع الهمزة[2] . فتجاورُ الألف والهمزة في آخر هذه الأسماء أعطى سِمَةً خاصةً لهذه المجموعة

(١) انظر: شرح الشافية. ركن الدين الأستراباذي. ت/ د. عبد المقصود محمد. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة.ط الأولى٢٠٠٤م .٥٦٧/١

(٢) شرح جمل الزجاجي .ابن عصفور . بعناية فواز الشعّار . دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٩٨٨م . ج٢ ص٥٠٤

مما جعل اللُّغويين يخصونها بقسم منفرد سموَه (الاسم الممدود) وهذا القسم بدوره ينقسم إلى : ممدودٍ قياسيّ ، وممدودٍ سماعيّ .

المطلب الأوّل

الممدود القياسي والسماعي

يتفق كلٌّ من الممدود القياسيّ ، والممدود السماعيّ في التعريف المُصطلحيّ العلميّ لهما ، ولكنّهما يختلفان في كَوْنِ القياسيِّ ما كان له نظيرٌ من الاسم الصحيح ، وهو محلُّ عملِ الصَّرْفيين ، يحصرون أوزانه ومقاييسَه ، ثم يذكرون ما يُقابلُها من الصحيح . وأمّا السَّماعِيّ ، فهو موضعُ نظرِ اللُّغَويِّ ، يجمعُ مفرداتِه ، ويذكرُ إزاءها معنيها ، ومِظنَّةُ هذه المفردات المُعجمات العربية .

وقد عَرّف علماء اللغةِ الممدودَ القياسيَّ بأنّه : هو اسم آخره همزة ، قبلها ألفٌ زائدة ، وله نظير من الصحيح ؛ قال سيبويه (ت١٨٠هـ) عن الممدود:(كلُّ شيء وقعت ياؤه أو واوه بعد ألف. وذلك نحو : (الاستسقاء) لأن اسْتَسْقَيتُ اسْتَفْعَلْتُ مثل استخرجت ، فإذا أردت المصدر علمت أنَّه لا بد من أن تقع ياؤه بعد ألف كما أنه لا بدّ للجيم من أن تجيء في المصدر بعد ألف ، فأنت تستدل على الممدود بنظيره من غير المعتل ، حيث علمت أنه لا بد لآخره من أن يقع بعد مفتوح ، كما أنَّه لا بد لآخر نظيره من أن يقع بعد مفتوح. ومثل ذلك الاشتراء ؛ لأنَّ اشتريت : افتعلت بمنزلة احتقرت ، فلا بد من أن تقع الياء بعد ألف ، كما أن الرَّاء لا بدّ لها من أن تقع بعد ألف إذا أردت المصدر. وكذلك الإعطاء ؛ لأنَّ أعطيت : أفعلت ، كما أنَّك إذا أردت المصدر من أخرجت لم يكن بدٌّ للجيم من أن تجيْ بعد ألف إذا أردت المصدر فعلى هذا فقس هذا النحو)[1] .

(١) الكتاب . سيبويه. ت/ عبد السلام محمد هارون. م الخانجي . القاهرة . ط٣ ، ١٩٨٨م : ٥٣٩/٣ ، ٥٤٠

وإنما جعل سيبويه ومَنْ تبعه من النُّحاةِ لكلِّ اسمٍ ممدودٍ أو منقوصٍ نظيراً من الصحيح كيلا يلتبس ما هو ممدود من الأسماء بما هو منقوص منها ، ولأنهم سمعوا أنّ العرب تقصر ما كان ممدوداً أحياناً ، ولذا جعلوا لكلً قياساً مما هو صحيح ، قال المبرّد : (فَإِذا أردْت أَن تعرف الْمَقْصُور من الْمَمْدُود فَانْظُر إِلَى نَظِير الْحَرْف من غير المعتل . فَإِن كَانَ آخِرُه متحركاً قبلَه فَتْحةٌ علمت أَن نَظِيره مَقْصُورٌ . فَمن ذَلِك : مُعْطًى ، ومُغْزًى ؛ لِأَنَّهُ مُفْعَل . فَهُوَ بِمَنْزِلَة : مُخْرَج ومُكْرَم وَكَذَلِكَ : مُسْتَعْطًى ، ومُسْتَغْزًى؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَة مُستخرَج . فعلى هَذَا فقس جَمِيع مَا ورد عَلَيْك). (١)

وفصَّلَ السيرافي في شرحه لهذا الباب من كتاب سيبويه في الاسم الممدود من جهة أصل الهمزة فقال(٢) : وأمّا ضربا الممدود ، فأحدهما أن يقع واوٌ أو ياءٌ طرفاً وقبلها ألفٌ فتنقلب همزةً ، والهمزة إذا كانت طرفاً وقبلها ألفٌ في اسم سُمي ممدوداً وذلك قولك: (عَطَاء) و (كِسَاء) و (رِدَاء) و (ظِبَاء) والأصل (عطاو) و (كساو) لأنه من (عطوت) و (كسوت) وأصل (رداء) و (ظباء)، (رداي) و(ظباي) لأنه من حسن الرّدية ، ومن قولك : (ظَبْي) . وأمَّا الضرب الآخر من الممدود ، فأن تقع ألفُ التأنيث وقبلها ألف زائدة ، فلا يمكن اجتماع الألفين في اللفظ ، ولا يجوز حذف أحدهما فيلتبس المقصور بالممدود فتنقلب الثانية ، التي هي طَرَفٌ همزةً ؛ لأنها من مخرج الألف فيصيرُ الاسمُ ممدوداً ، لوقوع الهمزة طَرَفاً وقبلها ألفٌ وذلك نحو (حمراء) و (صفراء)، و (فُقَهَاء) و (أغْنِيَاء) وما أشبه ذلك . فقد أشار

(١) المقتضب . المبرد. ت/ محمد عبد الخالق عضيمة . لجنة إحياء الثراث الإسلامي . القاهرة ط/ ١٩٩٤م : ٧٩/٣

(٢) شرح كتاب سيبويه . السيرافي . تحقيق /أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط١ ٢٠٠٨م .٢٧٠/٤

السيرافي – هنا – إلى أصل همزة الاسم الممدود ؛ فهي عنده إمّا أن تكون منقلبة عن أصل هو الواو أو الياء ، وإمّا منقلبة عن الألف الدالة على التأنيث .

وأمّا المبرد (ت ٢٨٦هـ) فما زاد على تعريف سيبويه غير أنّه فصّل في نوع همزة الاسم الممدود ؛ فجعلها في ثلاثة أقسام ، قال (فَأَما الْمَمْدُود فَإِنَّهُ يَاء أَو وَاو تقع بعد ألف زَائِدَة ، أَو تقع أَلفَانِ للتأنيث فتبدل الثَّانِيَة همزَة ؛ لِأَنَّهُ إِذا الْتَقت أَلفَانِ فَلَا بُدّ من حذفٍ أَو تَحْرِيك ؛ لِئَلَّا يلتقي ساكنان ، فالحذفُ لَو وَقع هَاهُنَا لعاد الْمَمْدُود مَقْصُوراً ، فحُرِّك لِمَا ذكرتُ لَك ، فَأَمّا مَا كَانَ غير مؤنث ، فهمزته أَصْلِيَّة أَو منقلبة من يَاء أَو وَاو بعد ألف زَائِدَة ؛ فَمن ذَلِك مَا بِنيتُهُ على (فَعَّال) ؛ نَحْو : شَرَّاب ، وقَتَّال ، وَحَسَّان ، وكَرَّام ؛ لِأَن مَوضِع اللَّام بعد ألف زَائِدَة فَإِن كَانَ من ذَوَات الْوَاو وَالْيَاء ، أَو مَا همزته أَصْلِيَّة ؛ نَحْو : سَقَّاء ، وغَزَّاء يَا فَتى ؛ لِأَنَّهُ من سَقَيت وغَزَوت . وقولُك : قَرَّاء يَا فَتى ؛ لِأَنَّهُ من قَرَأت ، فَهَذَا كَهَذَا)[1] . فالهمزة في الممدود إمّا أن تكون أصليةً ، أو منقلبة عن أصل هو الواو أو الياء ، أو دالّة على التأنيث .

وقد زاد ابن ولّاد (ت٣٣٢هـ) قسماً رابعاً ، هو همزة الإلحاق ، قال : (فالممدود كل اسم وقعت في آخره همزةٌ بعد ألف ، أصليةً كانت الهمزة ، أو زائدةً ، أو منقلبةً ، أو مُلحقة ؛ فالأصليةُ في مثل قولك قُرَّاء ، والزائدة في مثل حَمْرَاء ، والمُلحقة في مثل عِلْبَاء ، ألحقوه بوزن (سِرْبَال) ، والمنقلبة في مثل : كِساء والأصل : كِسَاو لأنه من الكَسْوِ فأبدلت الواو همزةً) .[2]

وكذلك سار العُكْبَريّ (ت٦١٦هـ) في كتابه (اللباب في علل البناء والإعراب) فقد قال : (اعلم أنّ الممدود كلُّ اسمٍ آخره همزةٌ قبلها ألفٌ . وهذه

(١) المقتضب . ٨٤/٣

(٢) المقصور والممدود . ابن ولاد . ت/ بولس برونله . مطبعة ليدن . ١٩٠٠م ص : ١٤٥

الهمزة على أربعة أوجهٍ : أحدُها أن تكون أصلاً نحو : قُرَّاء ووُضّاء لأنه من : قَرَأَ ووضُؤَ . والثاني أن تكون مبدلة من أصلٍ نحو : كِسَاء ورِدَاء ؛ لأنّه من : الكِسْوة والرِّدْيَة . والثالث أنْ تكون بدلاً من مُلحق نحو : حِرْباء وعِلْباء هو مُلحق بسِرْدَاح وسِرْبال . والرابع أنْ تكون للتأنيث نحو : حَمْراء وصحْراء).[1]

وتعريفات هؤلاء العلماء كلها تنصبُّ على الاسم الممدود إجمالاً ؛ سواء أكان قياسيّاً أمْ سماعيًّاً ، وكما ذرت سابقاً إنّ الفرق بينهما يقع على مسألةِ وجودِ النظيرِ من الصحيح ؛ فما كان لصيغته ووزنه نظيرٌ من الصحيح ، فهو قياسيّ ، وما لم يكن لبنائه نظيرٌ من الصحيح ، فهو سماعيّ . قال سيبويه : (ومن الكلام ما لا يُقال له مُدَّ لكذا ؛ كما إنّك لا تقول جِراب ، وغُراب لكذا ، وإنّما تعرفه بالسَّمْع ، فإذا سمعته علمت أنها ياء أو واو وقعت بعد ألف ، نحو : السماء والرِّشاء ، والأَلاء والمقْلاء)[2] ، وقال ابن عقيل : (ما ليس له نظيرٌ واطَّرَدَ زيادةُ ألفٍ قبل آخره فمدُّهُ مقصورٌ على السماع)[3] . ومن الممدود سماعًا : الفَتَاء ، لحداثة السن ، والسَّنَاء للشرف " بالشين المعجمة ، "والثَّرَاء بالمثلثة "لكثرة المال ، والحِذَاء " بكسر الحاء المهملة وبالذال المعجمة ، " للنَّعل " بالنون والعين المهملة .

وقد اطّردت تعريفات النحاة للاسم الممدود من بعد سيبويه والمبرد – بقِسْمَيْه : القياسيّ والسماعيّ – فلم نلحظ لهم خلافاً أو اختلافاً ، ولكنهم شرحوا

(١) اللباب في علل البناء والإعراب . العُكبري . تحقيق / د.عبد الإله نبهان.دار الفكر المعاصر.لبنان.بيروت.ط١ ١٩٩٥م .٤٣٩/٢

(٢) الكتاب . ٥٤٠/٣ ، وانظر : المقتضب . ٨٧/٣

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . بعناية محمد محي الدين عبد الحميد. دار التراث. القاهرة .ط٢٠ / ١٩٨٠م . ص: ١٠٢

وتوسعوا وزادوا في التمثيل[١]. كما إنّ قسم الأسماء الممدودة والمقصورة والمنقوصة قد حاز على جانب وافر من تآليف العلماء قديماً وحديثاً ، بل نجدهم قد أفردوا لها مؤلفات تحمل اسمها ؛ فمن ذلك : كتاب (المنقوص والممدود)[٢] للفرّاء (ت ٢٠٧هـ) وكتاب (المقصور والممدود)[٣] لابن السكيت (ت٢٤٤هـ) وكتاب (المقصور والممدود)[٤] لابن وَلَّاد (ت ٣٣٢هـ) . وكتاب (المقصور والممدود)[٥] لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ) ، وغير ذلك من الكتب المخطوطة والمطبوعة في هذا الشأن . مما يدلّ على مدى اهتمام علماء العربية بقسمي الاسم المعتلّ ، من ممدودٍ أو مقصور .

(١) انظر في ذلك : الأصول في النحو . ابن السرّاج .ت/د.عبد الحسين الفتلي .مؤسسة الرسالة.بيروت.لبنان.ب/ت ٤١٦/٢، واللباب في علل البناء والإعراب . العكبري . ٤٣٩/٢، وهمع الهوامع . السيوطي.ت/ د.عبد العالم مكرم.دار البحوث العلمية .الكويت . ١٩٨٠م. ٣٤٧/٣ . والمقصور والممدود . ابن ولاد . ت/ بولس برونله . مطبعة ليدن . ١٩٠٠م ص : ١٤٥

(٢) بتحقيق عبد العزيز الميمني . صدر بالقاهرة عن دار المعارف ١٩٦٧م

(٣) بتحقيق د. محمد محمد سعيد . صدر بالقاهرة عن مطبعة الأمانة ١٩٨٥م

(٤) نشره /برولنه في لندن ١٩٩٠م ، ثم نشره محمد بدر الدين النعساني في القاهرة عام ١٩٠٨م

(٥) بتحقيق د. أحمد عبد المجيد هريدي . صدر بالقاهرة عن مكتبة الخانجي ١٩٩٩م

المطلبُ الثاني
أوزان الممدود القياسيّ

تفاوَت النحاةُ والصرفيون في ذكر صفات ما يُعْلَمُ به الاسمُ الممدودُ ، أي : ما يُعرَفُ به الاسم الممدود من غيره من الأسماء المقصورة – فقد أشار سيبويه إلى مقياسَين مُجملين[1] : أولهما : المصدر المضموم الأول الدال على الصوت ؛ كالعُوَاء والدُّعَاء . وثانيهما : واحد الجمع الذي يكون على مثال (أفْعِلَة) نحو : أَقْبِيَة وأَرْشِيَة . ثم جاء المبرّد فنشر ما أجمله سيبويه وتوسَّع فيه ؛ فزاد على المصدر المضموم الأول ثلاثة مصادر أخرى ، وعلى مفردِ جمعِ (أفْعِلَة) جمعاً آخرَ . وقد أبرزتُ ما ذكره المبرّد في النقاط الآتية[2] :

١– مَا كَانَ مصدراً لـ (أفْعَلْت) لِأَنَّهَا تأتى على وزن الإفْعَال؛ نَحْو: أَخْطَأت إخْطَاءً، وَأَقْرَأْته إقْرَاءً هَذَا مِمَّا همزته أَصْلِيَّة ، وَمن ذَوَات الْيَاء الْوَاو: أَعْطيته إعْطَاءً، وأغزيته إغزاءً .

٢– مَا كَانَ مصدراً لـ (اسْتَفْعَلت) نَحْو: اسْتَقْصَيْت استقصاءً ، واسْتَدْنَيْت استدناءً لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَة الاستخراج ، والاستضراب .

٣– مَا كَانَ مصدرا لِقَوْلِك : (انْفَعَلَ ، وافْتَعَلَ)؛ لِأَنَّهُ يأتى بِمَنْزِلَة الانطلاق والاقتدار ؛ لِأَن مَا قبل اللَّام ألف زَائِدَة ؛ نَحْو: اخْتَفَى اخْتِفَاءً ، وانْقَضَى انْقِضَاءً .

٤– كل جُمع من هَذَا الْبَاب على (أَفْعِلَة) فواحده مَمْدُود نَحْو : رِدَاء وأردية ، وَكسَاء وأكسية ، وإناء وآنية ، ووعاء وأوْعِية ؛ لِأَن نَظِيره : حِمَار وأحْمِرَة ، وقُبَال وأقبلة .

---

(١) انظر : الكتاب : ٣/٥٤٠

(٢) المقتضب ٣/٨٤ ، وما بعدها

٥- من الْمَمْدُود مَا كَانَ جمعا لـ (فَعْلَة) من ذَوَات الْوَاو وَالْيَاء ، وَذَلِكَ نَحْو: فَرْوَة وفراء وَمن قَالَ : جِرْوَة قَالَ : جِرَاء فَاعْلَم ، وَكَذَلِكَ كَوَّة وكِوَاء. (١)

٦- كل مصدر مضموم الأول فى معنى الصَّوْت . فَمن ذَلِك الدُّعَاء، والعُوَاء، والرُّغَاء ، هَذَا امَمْدُود ؛ لِأَن نَظِيره من غير المعتل النُّبَاح ، والصُّرَاخ والشُّحَاج . فَأَما الْبكاء ، فَإِنَّهُ يمد وَيقصر فَمن مد فَإِنَّمَا أخرجه مخرج الصَّوْت ، وَمن قصره أخرجه مخرج الْحزن . كَذَلِكَ كل مَا كَانَ فى معنى الْحَرَكَة على هَذَا الْوَزْن؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَة النُّقَاز، والنُّفَاض. (٢)

وقد يسَّرَ أبو البقاء العُكبري تفصيلات الممدود القياسيّ ؛ فجعله في أربع مجموعاتٍ متّسقة المعاني والدلالات : مجموعة المصادر ، ومجموعة ما يُستدَل عليه بالجمع ، ومجموعة الصِّفَات ، ومجموعة الأسماء الخارجة عن هذه الثلاثة قال(٣) : والممدود من هذا الباب أربعة أقسام :

القسم الأوّل : في المصادر وَهُوَ :

١- كلُّ مصدرٍ ماضيه أربعةُ أحرفٍ على (أَفْعَلَ) معتلّ اللَّام فَهُوَ ممدودٌ نَحْو : أعْطى إِعْطَاءً وأغْنى إغناءً لأنَّ نَظِيره من الصَّحِيح أحْسن إحْساناً وَأكْرم إِكْرَاماً ، فقبْل آخرِه ألفٌ زائدةٌ .

٢- مَا كَانَ فِعْلُه على أكثرَ من أربعةِ أحرفٍ وَفِي أوّله همزةُ وصْلٍ وَمن معتلِّ اللاّم نَحْو اعْتلَى اعْتِلاءً وارْعَوى ارْعِواءً وانْشَوى اللحمُ انشواءً واسْتَدعَى استدعاءً واحْرَنْبى الديكُ احْرِنباءً واقْلَوْلَي اقْلِيلاءٌ وَكَذَلِكَ الْبَاقِي لأنَّ نظيرَها من الصَّحِيح قبل آخِرِه ألفٌ نَحْو : الانطلاق والاحمرار وَمَا أشبههَا .

---

(١) المقتضب : ٨٥/٣

(٢) انظر: السابق ٨٦/٣

(٣) انظر:اللباب . العكبري .٤٣٩/٢

٣- مَا كانَ فِعْلُه المعتلُّ اللَّام على (فَاعَل) نَحْو رَامَى رِماءً وَوَالَى وِلاءً لأنّ نظيرَهما من الصَّحِيح قاتَل قِتالاً .

٤- مَا كانَ صَوْتاً مُعْتَلًّا على فُعَال ، نَحْو : الدُّعاء والثُّغاء والعُواء لأنَّ نظيرَها من الصحيحِ : الصُّراخ والنُّباح . وعَلى فِعَال ، نحو : النِّداء والنِّزَاء . فأمَّا البُكَاءُ فَهُوَ صوتٌ وَقد جاءَ فِيهِ المدُّ والقَصْرُ .

٥- مَا كانَ على تَفْعَال نَحْو : التَّقْضَاء والتَّشْرَاء لأنّه نظيرُ : التّكْرَار والتَّسْيار. (١)

والقسم الثاني : ما يُستدلُّ عليه بالجمع ، وهو :

١- كلّ جمع على (أَفْعِلَة) من المعتلّ اللَّام فواحده مَمْدُود نَحْو : هَوَاء وأهْوِية وخِبَاء وأخْبِيَة لأنّ نظيرَهما من الصَّحِيح قبل آخِره ألف نَحْو : حِمَار وأحْمِرَة وقَذال وأقْذِلة ، فَأَما أندية فِي جمع ندىً فَالْوَجْه فِيهِ أَنه جمع ندىً على نِدَاء مثل : جَبَل وجِبَال ثمَّ جُمع الْجمع على (أفْعِلة).

٢- مَا كانَ على (فِعَال وأفْعَال) نَحْو ظَبْي وظِبَاء واسمٍ وَأَسْمَاء وحيٍّ وأحْياء ؛ لأنّ نظيرَها من الصَّحِيح أجْمَال وأكْبَاد وأحْمَال.

٣- كلُّ مَا كانَ واحدُه على (فَعِيل) مضاعفاً أَو مُعْتَلًّا فَجَمعه على أفْعِلاء وهمزتُه للتأنيثِ نَحْو : شَدِيد وأشدّاء وغنيّ وأغنياء وصفيّ وأصْفياء ونبيّ وأنبياء.

٤- مَا كانَ على (فُعَلَاء) نَحْو عُلَماء وظُرَفاء فَهَذَا مختصّ بِمَا كَانَ واحدُه مذكراً نَحْو (فَعِيل) غير مضاعف وَلَا معتلّ نَحْو : عليم وظريف ، وَقد جَاءَ مِنْهُ فِي الْمُؤَنَّث حرفان قَالُوا : امْرَأَة سَفِيهَة وسُفهاء وفقيرة وفُقراء . فأمّا خَلِيفَة فقد يجمع على خُلفاء وَهُوَ للمذكر وَفِيه وَجْهَان : أَحدهمَا : أنّه لما اختصّ بالمذكَّر كَانَ بِمَنْزِلَة

(١) انظر : اللباب . العكبري ٢/٤٤٠

مَا لَا تَاء فِيهِ ، والثّاني:أنّه يجمع على : خَلِيف ثمَّ يُقَال خُلفاء ، فعلى هَذَا هُوَ من الْبَاب وأمّا خَلائف فَجمع خَليفَة أَيْضا وَهُوَ الْقيَاس نَحْو كَرِيمَة وكرائم .[1]

والقسم الثالث : من الصفات ، كلّ مؤنث مذكّره (أفْعَل) لَا تلْزمهُ الْألفُ واللامُ وَلَا تدخل عَلَيْهَا تَاء التأْنِيث وَلَا هُوَ بِمَعْنى أفْعَل من كَذَا - فَهُوَ مَمْدُود : نَحْو : أَحْمَر وحمراء وأصفر وصفراء.

والقسم الرابعُ : من الأسماء الخارجة عمّا ذكرنا ، نحو : صحراء وخُنفساء وما أشبه ذلك كلّها ممدودة : [2]

فإذا كان المبرّد قد حصر ما يُعلم به الاسمُ الممدودُ من غيره في ستِّ نقاط فإنّ أبا البقاء العكبري قد توسع فيه فجعله في عشر نقاط . ومهما يكن من أمرٍ فإنّه سبيل العلم والعلماء ؛ فقد أتي العلماء الأوائل ببعض الإشارات والومضات في بابٍ من الأبواب أو وجهٍ من الوجوه ، ثم يأتي مَن هم بعدَهم فيتوسعون ويستدركون ، ويستطردون ، ويزيدون عليهم القليل أو الكثير ، وهكذا . فقد زاد الدكتور (عبد اللطيف محمد الخطيب)[3] صِنْفاً آخرَ ، سمّاه (صفات المبالغة) وجعله ثلاثة أقسام ، أحدهما وزن (تَفْعال) وقد ذكره الككبري في قسم المصادر ، أمّا القسمين الأخيرين من صفات المبالغة فهما :

أ- ما كان على وزن (مِفْعال) نحو : مِعْطَاء ، ومِهْدَاء ، ونظيره من الصحيح : مِهْذار ، ومِكسال ، ومِفْضال .

(١) انظر : اللباب . العكبري . ٤٤١/٢

(٢) السابق نفسه .٤٤٢/٢.

(٣) انظر : المُستقصي في علم التصريف .دار العروبة . الكويت . ط الأولى (٢٠٠٣م) ص ٦٧٨:

ب-ما كان على وزن (فَعَّال) نحو : عَدَّاء ، وسَقَّاء ، ونظيره من الصحيح : خَبّاز ، وسبَّاق ، وشَرَّاب .

وينقسم الاسم الممدود بحسب همزته إلى أربعةِ أقسامٍ :

١- ما كانت همزتُهُ أصليةً .

٢- ما كانت همزتُهُ منقلبة عن الواو أو الياء .

٣- ما كانت همزتُهُ دالّةً على التأنيث .

٤- ما كانت همزتُهُ للإلحاق بوزن (سِرْبال) .

قال ابن ولّاد : (فالممدود كل اسم وقعت في آخره همزة بعد ألف ، أصليةً كانت الهمزة أو زائدةً أو منقلبةً أو مُلحقة ، فالأصلية في مثل قولك قُرَّاء ، والزائدة في مثل حَمْرَاء ، والمُلحقة في مثل عِلْبَاء ، ألحقوه بوزن (سِرْبَال)، والمنقلبة في مثل : كِساء والأصل : كِساو ؛ لأنه من الكَسْوِ فأبدلت الواو همزةً). [١]

وقال العُكبريّ[٢] : اعْلَم أنَّ الممدودَ كلُّ اسمٍ آخرُه همزةٌ قَبْلَها ألفٌ ، وَهَذِه الهمزةُ على أربعةِ أوْجه :

أحدهَا : أنْ تكونَ أصلاً نَحْو : قُرّاء وَوُضّاء ؛ لأنّه من قَرَأ ووَضُؤ .

والثّاني : أَن تكونَ مُبْدَلةً من أصل نَحْو : كِسَاء ورِدَاء ؛ لأنّه من الكِسوة والرِّدية .

والثّالثُ : أنْ تكونَ بَدَلاً من مُلْحَق نَحْو : حِرْباء وعِلْباء فهُوَ مُلْحق بِسِرْداح وسِرْبال .

والرّابع : أنْ تكونَ للتأنيثِ نَحْو : حَمْرَاء وصحراء .

(١) المقصور والممدود . ابن ولاد . ص : ١٤٥

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب . العكبري.٢/٤٣٩

والهمزةُ الدالّةُ على التأنيث أكثر شيوعاً من غيرها في هذا البابِ ؛ فقد ذكر ابنُ أُمِّ قاسمٍ المُرادي (ت ٧٤٩هـ) في شرحه لألفية ابنِ مالكٍ ، سبعةَ عشرَ وزناً لأبنيتها ، وذلك في شرحه لهذا البيت[١] وما يليه من أبيات هذا الباب :

وأَلِـــفُ التأنيـــثِ ذاتُ قَصْـــرِ وذاتُ مَـــدٍّ نحْـــوَ أُنْثَـــى الغُـــرِّ

الأول : فَعْلَاء – كيف أتى ، اسماً كصحراء ، أو مصدراً كرَغْباء[٢] ، أو جمعاً في المعنى كطرْفاء[٣] ، أو صفة أُنثى (أَفْعَل) كحمراء أو غيره كدِيمةٍ هطْلاء .

الثاني والثالث والرابع : – أَفعلاء ، بفتح العين وكسرها وضمّها ، ومثالها قولهم لليوم الرابع من أيام الأسبوع : أربَعاء ، وأرْبِعاء ، وأرْبُعاء .

الخامس : فَعْلَلَاء – مثل : عقْرباء ، وحرْملاء ، لمكانَينِ ، ذكرهما سيبويه .

السادس : فِعَالاء – ومثاله : قِصاصاء ، وهو القِصاص ، حكاه ابنُ دُريد .

السابع : فُعْلُلاء – نحو قعد القُرفصاء ، ولم يجئْ إلّا اسماً .

الثامن : فاعُلاء – نحو عاشوراء .

التاسع : فَاعِلاء – نحو قَاصِعَاء.[٤]

العاشر : فِعْلِياء – نحو كِبرِياء .

الحادي عشر : مَفْعُولاء – نحو مَشْيُوخاء ، وهو جماعة الشيوخ .

الثاني عشر : فَعَالاء – بَرَاسَاء ، يُقال : ما أدري أيُّ البَرَاساء هو ، أيّ الناس هو .

---

(١) انظر: توضيح المقاصد. المُرادي . ت/الأستاذ الدكتور عبدالرحمن علي سليمان.دار الفكر العربي. القاهرة.ط١(٢٠٠١م) ص:١٣٥٦

(٢) رِغْباء : مصدر رغب إليه إذا أراد ما عنده .

(٣) شُجيرةٌ لها أوراق صغيرة حرشفيّة .

(٤) أحد بابَي جحرة اليربوع .

الثالث عشر : فَعِيلاء – نحو كَثِيراء .

الرابع عشر : فَعُولاء – دبُوقاء ، وحَروراء[1] .

الخامس عشر : فَعَلاء – نحو جَنَفاء : اسم موضع .

السادس عشر : فِعَلَاء – نحو سِيَرَاء ، وهو ثوب مخطط يُعمل من القزّ .

السابع عشرَ : فُعَلاء – نحو عُشراء ، ونُفَسَاء٢ .

ولَعَمري إنّ غالبية هذه الأوزان قد استخدمها الحارث بن حلّزة في قافية معلقته موضعِ الدرس التطبيقيّ ، وسنرى ذلك في المبحث الثاني من هذا البحث إن شاء الله .

(١) دبوقاء : اسمٌ للعذرة . وحروراء اسمٌ لموضع تنسب إليه الحرورية ، وهي طائفة من الخوارج .

٢ – عُشراء : للناقة المرضع ، ونُفساء : للمرأة في زمن ولادتها .

المطلبُ الثالثُ

خواصّ البناء الصرفي للاسم الممدود :

ونستخلص مما سبق أنّ الاسم الممدود – في جميع أحواله وأقسامه – يلزم بناءً ذا خاصيّة معيّنة ، تشترك فيها هذه الأحوال والأقسام جميعُها ؛ وذلك أنّ المقطع الأخير منه يتكوّنُ من ألِفٍ وهمزةٍ يسبقهما حرفٌ مفتوح ، وبإمعان النظر في هذا المقطع تظهر لنا طبيعة الصوت التي ينتهي إليها الناطقُ به ؛ فطبيعة الحرفَينِ المكوِّنَينِ لهذا الجزء ، وطبيعة الفتحة التي تلزم الحرفَ السابق لهما – كلّ ذلك – يُمكِّن المتكلم من الاستطالة في مدِّ صوته ؛ فيكون مسموعاً من أماكن بعيدة متى ما أراد ذلك ، وقد سُمّيَ الممدودُ ممدوداً لأنّ ألفَه تُمدُّ لأجل وقوع الهمزة بعدها . فالسبب الأساس لمدِّ الصوت – إذن – هو وجود الألف التي تعقبُها الهمزةُ . والألف لها من الصفات ما يجعلها كفيلةً بمدّ الصوت ، وهنا يجدر بنا أن نقف قليلاً على بعض ما تتصف به كلٌّ من الألف والهمزة من الصفات فيهما وفي مخرجَيْهما .

صفات الألف :

والألفُ هنا – بقطع النظر عن زيادتها في بناء الاسم – فإنّها حرفٌ من حروف اللين ، ومن مِيزات هذه الحروف إنّها تمكّن المتكلم من مدّ صوته كيفما شاء ، لا سيَّما إذا وقعت بعدها الهمزةُ ، قال ابن جني : (ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هن حرفٌ تَوَامٌ كواملُ ، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتمَّ منهنّ في بعضٍ ، وذلك قولك : يخافُ وينام ، فتجد فيهنّ امتداداً واستطالةً ما ، فإذا

أوقعت بعدهُنّ الهمزةَ ازْددنَ طولاً وامتداداً ، وذلك نحو : يشاء ويداء)[1] وهذا يعني أن طول هذه الحروف قد يزداد ضِعفاً أو ضِعفين مما كانت عليه من قبلُ ، وإذا كان ذلك في كلمة واحدة فقد اصطُلح على تسميته بالمد المتصل عند علماء القراءات.

ومن صفات الألف كذلك ، إنّها حرف مجهور ، أي : إنّها قد أُشبِع الاعتمادُ في موضعها ومُنِع النَّفَسُ أن يجريَ معها حتى ينقضي هذا الاعتماد فيجرِي الصوت منطلقاً إلى خارج الفم سَلِساً دون اعتراض . وقد سمّاها الرئيس ابنُ سينا (الألف المُصوِّتة) قال : (وأمّا الألف المُصوِّتة وأختُها الفتحةُ فأظنّ أنّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سَلِساً غيرَ مُزاحمٍ)[2] . كما أنّ ابن جني قد وصفها ووصف مخرجها فقال: (والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة ، الألف ، ثم الياء ، ثمّ الواو ، وأوسعها وألْينُها الألف أمّا الألفُ فنجد الحلق والفم معها مُنفتحَين غير مُعترِضَيْن على الصوت بضغطٍ أو حصر)[3] . ومن هذا الوصف نستطيع أن نستخلص ثلاث صفات لمخرج الألف:

أولها : اتّساع المَخْرج .

الثاني : اتّساع المخرج مع اللِّين .

الثالث : انفتاح الحلق والفم معاً عند النطق بها .

(١) انظر سر صناعة الإعراب . ابن جني . ت/ د. حسن هنداوي . دار القلم . دمشق . ط٢ ١٩٩٣م . ص : ٧ .

(٢) أسباب حدوث الحروف. ت/ محمد حسان الطيان ويحيى علم . مطبوعات مجمع اللغة العربية . دمشق . ب/ ت .ص٨٤

(٣) سر صناعة الإعراب . ابن جني . ص٨

هذه الصفات وتلك ، تتماشى مع البنية الصرفية للمقطع الأخير من الاسم الممدود دون شكّ . ومما يفيد صاحب الصوت إمعاناً في مدّ صوته مدى ما أراد – كذلك – اكتناف الفتحةِ والهمزة لحرف الألف .

صفات الهمزة :

أمّا الهمزة ، فتحدث من (حفْزٍ قويٍّ من الحجاب وعضلِ الصدرِ لهواءٍ كثيرٍ ، ومن مقاومة الطِّرْجِهاليّ[1] الحاصرِ زماناً قليلاً لحفز الهواء ، ثمّ اندفاعِه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً)[2] . فحدوث الهمزة بهذا الشكل – ذي الوصف الدقيق – جعلَ ابن جني يذكر لها عِدة أوصاف[3] ؛ فمن ذلك :

١– الجَهْر ؛ والمجهور من الحروف هو ما أُشبِع الاعتماد في موضعِهِ ومُنِع النَّفَسُ أن يجري معه حتي ينقضي الاعتماد ويجري الصوت .

٢– الشِّدَّة ؛ والحرفُ الشديد هو الحرف الذي يُمنع الصوت أنْ يجري فيه .

٣– الانفتاح ؛ وهو عكس الإطباق ، والإطباق أنْ ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مُطبِقاً له .

ويقول إبراهيم أنيس : (أمّا الهمزة فهي صوت شديد انفجاريّ ، مخرجُه المزمار ، فعند النطق به تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يُسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأةً فيُسمَعُ صوتٌ انفجاريٌّ هو ما يُعبّر عنه بالهمزة . ولا شكّ أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار

(١) الطرجِهالي : هو أحد الغضاريف الثلاثة المكوّنة للحنجرة . انظر : أسباب حدوث الحروف ابن سينا . ص ٦٥ .

(٢) أسباب حدوث الحروف . ابن سينا . ٧٢ .

(٣) انظر : سر صناعة الإعراب . ص٦١– ٦٨ .

فجأة ، عملية تحتاج إلى جُهْدٍ عضليّ قد يزيد على ما يحتاجُ إليه أيّ صوت آخر ، مما يجعلنا نَعُدُّ الهمزة أشدّ الأصوات)[١] .

فإذا نظرنا إلى ما تتصف به كلّ من الألف والهمزة من صفات ، فإنّنا نجد أنّ صوت القافية المكوّنة من الاسم الممدود يمكن أنْ يتّصف بصفات كثيرة مُميِّزةٍ له ، مثل :

١- القوّة والوضوح ، وذلك بسبب اتساع مخرج المقطع الأخير من الكلمة ، وهذه المِيزة تجعل السامع متمكِّناً من سماع الصوت بصورة واضحة .

٢- تَمَوُّج الصوت ، وذلك بسبب اتّساع المخرج مع اللين ، مما يُتيح للشاعر أنْ يموِّجَ صوته فيتصعّد به ويتسفَّل كيف ما شاء فيحدث الأثر في المتلقي أو السامع .

٣- بلوغ الصوت أبعد مجالات المَدَى الصوتي ، وذلك بسبب انفتاح الحلق والفم عند النطق بالكلمات الممدودة ؛ فيتمكّن الشاعر من رفع صوته إلى أعلى درجة ممكنة فيسمعُه الداني والقَصِيُّ .

٤- الجهارة والشِّدَّة ، وذلك بسبب انحباس الصوت ثم انفجاره داوياً ومحلقاً في آفاقٍ أوسع وأرحب .

(١) الأصوات اللغويّة . مطبعة نهضة مصر . ب/ت . ص٧٥

المبحث الثاني

الاسم الممدود في معلقة الحارث بن حلزة

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الظروف الاجتماعية التي أنتجت نصّ المعلقة .

المطلب الثاني: تَخَيُّر الشاعرِ للاسم الممدود .

المطلب الثالث : التحليل الصرفي للاسم الممدود داخل نص المعلقة .

المبحث الثاني

الاسم الممدود في معلقة الحارث بن حلزة [1]

إنّ تلك الصفات التي يتميّز بها الاسم الممدود من غيره من الأسماء – فطَنَ لها الشاعر الفحلُ الحارث بن حلِّزة حين رَافَعَ عن قبيلته (بكْر) أمام قبيلة (تغلب) في حضرة الملك عمرو بن هند ، فقد كان الشاعرُ يعلمُ أنّ الملك لا يسمح له بالحديث أمامَه مباشرة ، وذلك لما كان به من السَّلَع والبَرَص ، فارتجل معلقته المشهورة ، جاعلاً الاسم الممدود قافيةً لها ، فكانت النتيجةُ أنْ رُفعت الحُجُب أمامَه واحداً تلوَ الآخر حتى بلغ مجلسَ الملك ، ونجح في إقناعه ، وكسب الرهان . فقبل أنْ نعبُرَ إلى تطبيقات الاسم الممدود على هذه المعلّقة ، لا بُدَّ لنا من الحديث عن : الظروف الاجتماعية التي أنتجت نصّ المعلقة ، و خبرِ ارتجالها وقِصّة إنشادها من وراء الستور والحُجُبِ ؛ إذ إنّ في ذلك بياناً لقيمة اختيار الشاعر لهذه المفردة . فما تلك الظروف التي كانت وراء إنشاد المعلقة ؟ ولماذا ارتجلها الشاعرُ ارتجالاً ؟ ولماذا أنشدها من وراء حُجُبٍ وستور ؟ والإجابة عن هذه الأسئلة ذات صلةٍ وطيدةٍ باختيار الشاعر لهذه القافية.

---

١ – ابن مكروه بن بُديد بن عبد الله بن مالك بن سعد بن جُشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل . انظر ترجمته في ديوانه ، وشروح المعلقات .

المطلب الأوّل

الظروف الاجتماعية التي أنتجت نص المعلّقة

إنّ جميع المصادر[1] التي تعرضت لإيراد خبر الحارث بن حِلِّزة البكري ، وشرحت معلقته تتفق حول الظروف الاجتماعية التي أنتجت نص هذه المعلقة ، هي وأختها معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي – وتلك الظروف هي أنّ عمرو بن هند لمَّا مَلَكَ – وكان جبّاراً عظيم الشأن – جمعَ بَكْراً وتغلِبَ فأصلح بينهم وأخذ من الحَيْين رُهُناً ، من كلّ حيّ مائة غلام ، وكفَّ بعضهم عن بعض ، وكان أولئك الرُّهن يكونون معه في مسيره ويغزون معه ، فأصابهم سَمُوم في بعض مسيرهم فهَلَكَ عامةُ التغلبيين وسلم البكريون ، فقالت تغلب لبكر بن وائل : أعطونا ديات أبنائنا فإنّ ذلك لكم لازم ، فأبت ذلك بكر ، فاجتمعت تغلب إلى عمرو بن كلثوم ، ثم إنّ بني تغلب اجتمعوا لحرب بكر بن وائل ، واستعدت لهم بكر حتى إذا التقوا كرِه كلٌّ صاحبه وخافوا أن تعود الحرب بينهم كما كانت ، فدعا بعضُهم بعضاً إلى الصلح ، فتحاكموا في ذلك إلى الملك عمرو بن هند فقال عمرو : ما كنت لأحكمَ بينكم حتى تأتوني بسبعين رجلاً من أشراف بكر بن وائل فأجعلُهم في وثاق عندي فإن كان

(١) انظر شرح القصائد السبع الطوال . أبو بكر بن القاسم الأنباري . ت/ عبد السلام محمد هارون . دار المعارف.القاهرة.. (ب/ت): ٤٣١ ، وشرح المعلقات السبع. الزوزني. لجنة التحقيق في الدار العالمية (ب/ت) : ١٤٦، ووشرح القصائد العشر . الخطيب التبريزي . بعناية إدارة الطباعة المُنيرية ، لصاحبها محمد منير الدمشقي . ط٢ (١٣٥٢هـ) القسم الثاني : ٥٤١ ، و شرح المعلقات التسع . أبو عمر الشيباني . ت / عبد المجيد همو : ص ٣٠٥ ، وديوان الحارث بن حلزة . صنعة مروان العطية .دار الإمام النووي للنشر. دمشق. ط١ (١٩٩٤م) ص ٥٥ ، وخزانة الأدب.البغدادي. ت/ عبد السلام محمد هارون.مكتبة الخانجي.القاهرة.ط٤/١٩٩٧م.١:٣٢٥

الحقّ لبني تغلب دفعتُهم إليهم ، وإن لم يكن لهم حقٌّ خليتُ سبيلهم ففعلوا وتواعدوا ليوم بعينه يجتمعون فيه[١]، فجاءت بكر بالنعمان بن هرم أحد بني ثعلبة بن غنم من بني يشكر وجاءت تغلبُ يقودها عمرو بن كلثوم ، فلما اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنعمان بن هرم : يا أصمّ ، جاءت بك أولاد ثعلبة تناضل عنهم وقد يفخرون عليك . قال النعمان : وعلى مَن أظلّت السماء يفخرون . قال عمرو بن كلثوم : والله أن لو لطمتُك لطمةً ما أخذوا لكَ بها ! فقال : والله لو فعلتَ ما أفلتَّ بها قِيسَ أبِرِ أبيك ! فغضب عمرو بن هند ، وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فقال : يا جاريةُ أعطيه لَحْياً بلسان – يقول ألْحيه – فقال له النعمان : أيّها الملك أعطِ ذلك أحبَّ أهلك إليك . فقال عمرو بن هند : أيسرُّك أنّي أبوك ؟ قال : لا ولكن يسرّني أنّك أمي . فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همّ بالنعمان ، وقام الحارث بن حلّزة فارتجل قصيدته. [٢]

يتّضحُ من هذه الرواية إنّ البكريين قد قدّموا – أول أمرهم – النعمان بن هرِم ، ولكن عندما حدثت تلك المُغاضبة بينه وبين الملك عمرو بن هند ، تولّى الحارث بن حلّزة زمام الأمر وأصبح هو المُتحدث بلسان بكر بن وائل ؛ فهو ألْحنُ بحُجّة قومه من غيره ، فأنشد قصيدته . ولعلّ قومه أشاروا إليه بذلك لتقدم سنّه وخبرته الطويلة في الحياة ؛ فقد زعم الأصمعي إنّ الحارث قال قصيدته وهو يومئذٍ قد أتت عليه من السنين خمسٌ وثلاثون ومائة سنة . [٣]

(١) شرح المعلقات التسع . أبو عمر الشيباني : ص ٣٠٥

(٢) انظر شرح القصائد السبع الطوال . الأنباري : ٤٣٢، وخزانة الأدب ١:٣٢٥

(٣) انظر : شرح القصائد العشر . التبريزي . ص ٢٥١

ارتجال القصيدة ، وإنشادها من وراء سبعةِ حُجُب :

اتفق أصحابُ المصادر القديمة التي بين أيدينا على أنّ الحارث بن حلّزة قد ارتجل قصيدته ارتجالاً أمامَ الملك ؛ ففي شرح الأنباري لبيت الحارث :

فملكْنَا بذلك النَّاسَ حتَّى ∴ مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ ماءِ السماءِ

قال : (قال الأصمعي : أنشدني هذا البيت حَرْدُ بن المِسْمَعيّ ، وقال لا يضرّهُ إقواؤُهُ ... وإنّما هذه القصيدة كانت شبيهاً بالخُطْبة ، قام بها الحارثُ مُرْتجِلاً ، والارْتجالُ : الاقتراحُ والابتداء من ساعته)[1]. وقد ذكر القصيدةَ أبو بكر الأصبهاني (ت٢٩٧هـ) في باب (ما ارتُجل شعراً) قال : (وبلغني أن الحارث ابن حلزةَ اليشكري اعتمد على سِيَّة قوسه حتَّى نفذت في كفِّهِ ، وهو لا يشعر بذلك ، لاشتغالِ فكرِهِ ، حتَّى فرغ من ارتجال القصيدة الَّتي يقول فيها :

آذنتنا ببينها أسماءُ ∴ ربّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثّواءُ

وهذه القصيدة وإن كانت من السبع الجارية على ألسن الصبيان والمبتدئين ، فلم يمنعْ ذلك من ذكرها للأدباء والمتأدبين ، وإنَّما غرضُنا من هذا الباب أن نذكرَ ما ارْتُجِل من الأشعارِ التي لم تجرِ رياضتُها في الادِّكار ، فإذا أضربنا عن ذكرها ، وهي من خير ما ذكرناه ، كان غلطاً في التأليف ، وهُجنة على صاحب التصنيف ، وعلى أنّا لم نرسم منها إلاَّ قليلاً من كثير ، ولم ندع ما تركناه منها رغبةً عنها ، غير أن الباب لا يسعه)[2].

وقال أبو القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ) بعد أن ذكر قصة غَضَبِ الملك من النعمان بن هرم (وقام الحارث بن حلّزة فارتجل قصيدته ارتجالاً ، وتوكأ على قوسه

(١) انظر : شرح القصائد السبع الطوال . أبو بكر الأنباري : ٤٧٥ .

(٢) الزهرة . أبو بكر الأصبهاني. ت/ إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. الأردن. ط٢(١٩٨٥م) ج٢ ص: ٧٧٩ .

، فزعموا أنّه انتظم بها كفُّه ، وهو لا يشعر ، من الغضب)[1] . وتبعه في ذلك الخطيب التبريزيّ (ت ٥٠٢هـ)[2] . وكذلك قال أبو عبد الله الزوزني ، عندما تشادد الملك عمرو بن هند والنعمان بن هرم في الكلام (فغضب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى كاد أن يفتك بالنعمان ، عندئذٍ قام الحارث بن حلزة ، فارتجل معلقته ارتجالاً ، توكأ على قوسه وأنشده وقيل أنّه كان يتوكأ على عَنْزَةٍ فارتجزت في جسده وهو لا يشعر)[3] ، فيُجمِعُ أصحاب هذه الرويات على أنّ معلقة الحارث بن حلزة قد ارْتُجِلت ارتجالاً في ذاك المجلس الجامع ، أي : إنّها كانت وليدة لحظات ذاك اللقاء ، مما حدا ببعضهم أن يَسِمَها بالخُطْبة .

ويتضحُ أيضاً من المصادر التي أوردت خبرَ الشاعر أنّه كان يُنشد قصيدتَه من وراء حُجُبٍ سبعةٍ ، وذلك لِما كان به من السّلَع والبرص ، وكانت الملوك وقتها لا تباشر مَن به سَلَعٌ بالكلام أو الخطاب إلا من وراء الحُجُب ؛ فإنّ الجاحظ في كتابه (البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان) وفي حديثه عن الحارث عند إنشاده لقصيدته (آذنتنا ببينها أسماء) قال : (وكان الحارثُ أبرصُ ، وكان الملك لا يملأ عينه من رجلٍ به بلاء ، فأنشده من وراء السِّتْر ، فلما سمعها استخفَّه الطرب وحمله السرور على أنْ أمَرَ برفع الحجاب ، ثم أقعده على طعامه وصيّره من سُمَّاره)[4] وقال أبو عمرو الشيباني : (وأنشد الحارثُ قصيدته " آذنتنا ببينها

(١) شرح القصائد السبع الطوال . أبو بكر الأنباري : ٤٣٢ .

(٢) انظر : شرح القصائد العشر . الخطيب التبريزي : ٢٥١ ، وانظر خبر الشاعر في : الشعر والشعراء .ابن قتيبة.ت/أحمد محمد شاكر.دار المعارف.القاهرة.١٩٥٨م : ١٩٧١م .

(٣) شرح المعلقات السبع . الزوزني : ١٤٥ .

(٤) البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان . الجاحظ .ت عبد السلام محمد هارون . دار الجيل بيروت. ط ١٩٩٠ . ص ٥٢ .

أسماء " وهو من وراء سبعة ستور ، وهند تسمع ، فلمّا سمعتها قالت : تاللهِ ما رأيتُ كاليوم قطُّ رجلاً يقول مثلَ هذا القول يُكلَّمُ من وراء سبعةِ ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً ودنا ، فما زالت تقولُ ويُرفعُ سترٌ فسترٌ حتى صار مع الملك على مجلسه ، ثم أطعمه من جفنته ، وأمر ألّا يُنضح أثره بالماء)[1]. وقال أبو بكر الأنباري (حكى أبو عُبيدة أنّ الحارث بن حلزة كان يُنشد من وراء الحُجُب لأنّه كان أسلعَ ، أي : أبرص . فلما أنشد هذه القصيدة أدناه حتى خلصَ إليه)[2] واتّفق الشيخ أحمد الأمين الشنقيطي[3] مع هؤلاء الرواة فيما ذكروه .

(١) شرح المعلقات التسع . أبو عمر الشيباني : ص ٣٠٦

(٢) شرح القصائد السبع الطوال . أبو بكر الأنباري : ٤٣٢

(٣) انظر : شرح المعلقات العشر . الشنقيطي .ت/ محمد عبد القادر الفاضبي. المكتبة العصرية .صيدا.بيروت. ط اللأولى ٢٠٠١م.ص : ٣٠٦

المطلبُ الثاني
تَخَيُّرُ الشاعرِ للاسم الممدود

فخبرُ إنشادِ القصيدةِ من وراء الحُجُب ، وخبرُ ارتجالها أمامَ الملك حينئذٍ ، يقوداننـي إلى الاعتقاد الجازم بأنّ الشاعر قد عَمَدَ إلى اختيار الاسم الممدود ليُصَرِّعَ بـه قصـيدتَهُ ، ممـا يُتـيح لـه مـدَّ صـوته مترنِّمـاً أو حادِيـاً أو مغنّيـاً أو غيـرَ ذلـك والشاعرُ يقد أدرك – لخبرته الحيوية الطويلة ، ولسليقته اللُّغوية السليمة – مدى أثر بنية الاسم الممدود في إيصال صوته وأفكاره الشعرية ، ولمّا كان يعلمُ – كذلك – أنّه يُخاطِبُ من وراء حُجُب ، اختار الهمزةَ التي تسبقها الألف ؛ ليقينِه العميق بما تتصف به الألف من اتساعٍ في المخرجِ مع لينها ، ومن انفتاح الحلقِ والفمِ معاً عند النطق بها ، ولعلمه – كذلك – بما تُسْبقُه الهمزةُ على الصوتِ من جَهْرٍ وشِدَّةٍ وانفتاحٍ ، فطبّق ذلك عملياً عند اختياره لتلك القافية ؛ وذلك ليبلُغَ الغرضَ الأساسيَّ الذي من أجله ارْتجلَ قصيدته على مسمع عمرو بن هند ، ؛ فالشاعرُ قد فَطِنَ إلى أنّ الملـك والجالسـين فـي حضـرته – وهـو يخـاطبهم مـن وراء سـبعة سـتور – لا يتمكنون من سماع صوته إلا إذا تخيَّر بعضاً من الألفاظ التي تُمَكِّنُـهُ من استطالة صوته ومدّه عالياً مُدوِّياً ؛ فلجأ إلى كنف الاسم الممدود ، ليكون دليلَ صوتِهِ وفكرتِهِ إلى حيث مجلِس الملك ، فبدأ قصيدتَه قائلاً[1] :

آذنتنـــــا ببينهـــــا أســـــماءُ ∴ ربّ ثـــاوٍ يُمـــلُّ منـــه الثّـــواءُ
بعـــدَ عهـــدٍ لهـــا ببرقـــةِ شـــمَّا ∴ ءَ فـــأدنى ديارِهـــا الخلصـــاءُ
فالمُحَيَّـــاةُ فالصِّـــفاحُ فأعْنـــاقُ ∴ فتـــاقٍ فعـــاذبٍ فالوفـــاءُ
فريـــاضُ القطـــا فأوديـــةُ الشُّـــرْ ـــبِ فالشُّـــعبتانِ فـــالأبلاءُ

(١) ديوان الشاعر . صنعة : مروان العطية : ٦٦

لا أرى مـن عهـدتُ فيهـا فـأبكي الـ ∴ يـــومَ دلهـــاً ومـــا يـــردُّ البكـــاءُ

فلعلّك تلاحظ – يا رعاكَ الله – تحاشُدَ الأسماء الممدودة في هذه الأبيات الخمسة التي جعلها الشاعر مُنْطلقاً لقصيدةٍ تنيفُ عن الثمانين بيتاً ، فظهورُ سبعةٍ من الأسماء الممدودة – هي (أسْماء ، والثَّوَاء ، وشَمَّاء ، والخَلْصَاء ، والوَفَاء والأبْلَاء ، والبُكاء) وستَ عشرةَ كلمةً تشتمل على ألف المدّ ، وهي (آذنتنا ، ثاوٍ ، لهـا ، ديارهـا ، المُحيـاة ، الصِّفاح ، أعنـاق ، فِتـاق ، عـاذب ، ريـاض ، القطـا ، الشُّعْبتان ، لا ، أرى ، فيهـا ، مـا) – فـي كنـف خمسـةِ أبيـات فقـط ، لهـو قمـينٌ بالملاحظة ، وجدير بإمعان الفكرة فيها مما يقوي ما افترضتُهُ بأنّ الشاعر قد تعمّدَ اختيار الاسم الممدود عُنوةً لإيصال صوتِهِ إلى عمرو بن هند ، فحصيلة الأسماء الممدودة في هذه الأبيات بمعية الكلمات الأخرى التي تشتمل على حرف المدّ الألف – ثـلاثٌ وعشـرون كلمـةً ، وهـذا لعَمْـري لا يحـدثُ إلّا مـع التعمُّـد وسَـبْقِ والقصْـدِ والترصّد . ثم انظرْ – يا رعاكَ اللهُ – إلى الكلمة التي افتتح بها القصيدة (آذنتنا) فإنّها لمُفْعمةٌ بالمدّ اللافتِ لنظر المَعْنـيِّ بالخطاب . كما أنني أعتقد بأنّ كثرة هذه المدود وتواشجِها مع الكلمات الأخرى في حمل فكرة الأبيات الأولى من القصيدة – هو الذي حدا بهند والدة الملك بأن تقول : (تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ رجلاً يقول مثلَ هذا القول يُكلَّمُ من وراء سبعةِ ستور) مما شفع للشاعر بأن يخطوَ الخطوة الأولى في اجتياز تلك الستور .

وقد قام الأستاذ مروان العطية – جامعُ ديوان الشاعر ومحققُه بحصر بعض العوامل التي ساعدت على عملية إقناع الشاعر لعمرو بن هند تحت عنوان (

الخطوط البارزة في شخصية الشاعر)[1] ، وحصرها في : (صفاته الخُلُقيّة ، وبعض السمات العقلية ، و المجال الانفعالي) .

ومن خلال هذه الخطوط أراد جامعُ الديوان أن يقول إنّ وسائل الإقناع التي اتبعها الشاعر تنبع من هذه النقاط ؛ فاتصافُ الشاعر بالشجاعة والفروسية نصّبه مشرفاً حربيّاً في قومه ؛ فقد وقَفَ نفسَه شاعراً لعصبيته القَبَلية ، يذبّ عنها بلسانه ، ويُطاول بها القبائل ببيانِهِ . ثم إنّ رجاحةَ عقلِهِ جعلته حكيماً رزيناً ، يحسنُ المصانعة ويُجابه الخطوب بهدوء ورويّة ، وآيةُ ذلك من شعره المعلّقةُ ، فأبرَزَ فيها الشاعرُ أنّه خطيبٌ بليغ ، ومحامٍ حاذقٌ ، وضعَ أمامَ نظره غاية رمى إليها ، واحتال لبلوغها ، وهي أن يحكم عمرو بن هند له ولقومه على حساب قبيلة تغلب ، فسخّرَ لذلك عقلَه ، وسياستَه ، ودهاءَه ، فأقنع الملكَ بحقِّه ، وانتصرت قضيةُ قومه . كما أنّه اتّبع لهجةً حكيمة ؛ جمعت اللينَ والنعومة إلى القوّة ، والتلميحَ إلى المصارحة ، والمدحَ إلى الإثارة ، فدخلت قلبَ الملك كالسِّحر وبعثت فيه انقلاباً حاقداً على بني تغلِب. [2]

بَيْدَ أنّ العنصر الأساس الذي ضرب بسهم نافذٍ في مسألة إيصال صوت الشاعر إلى الملك – وبينهما سبعةُ حُجُب – وإقناعه ليحكم لصالح قبيلة بكر على تغلب ، هو عنصر الكلمة المُنتقاة ، واللفظة المُختارة ، وهو عنصر لم يطرقه شُرَّاح معلقة الحارث بن حلّزة ، ولا جُمّاعُ ديوانه ، وأعني به : الاسمَ الممدودَ الذي صرَّعَ به الشاعرُ قصيدته وجعله رويّاً لها . فهذه الدراسة التي جعلنا عنوانها (البناء الصرفي للاسم الممدود ودوره في إيصال الصوت والفكرة) تطبيقاً على معلقة

(١) انظر : ديوان الحارث . صنعة مروان العطية .دار الإمام النووي للنشر. دمشق. ط١ (١٩٩٤م) ص ٤٤ .

(٢) السابق نفسه . ص ٤٦ .

الحارث ، تحاول أن تضيف عنصراً مُهمّاً من عناصر الإقناع التي ساهمت بشكل أساسيّ في سماع حُجّة البكريين والإنصات لها بوعيٍ وتركيز ثم انقلاب الموازين لترجيح كفة بكرٍ على كفّة تغلب . وهذا ما تناولناه في صدر هذه الدراسة .

المطلبُ الثالثُ

التحليل الصرفيّ للاسم الممدود في نص المعلقة

وبناءً على ما تقدم من الدراسة الصرفية للاسم الممدود ، ومن الحديث – كذلك – عن المعلقة ومناسبتها ، وخبر ارتجالها ، وخبر إلْقائها من وراء الحُجُب وأثرُ المدِّ في تأديةِ معانيها – يجدُرُ بنا أن نقف عند نصِّ المعلقة ، لنستعرضَ بعضاً من الأسماء الممدودة بها وفقاً للتقسيمات التي صنعها أبو البقاء العكبري بحسب أقسام الاسم الممدود التي عرضناها في صدر الدراسة ؛ لسعته وشموليته . ونعتمد في هذه الدراسة نص القصيدة الذي أثبته جامع ديوان الشاعر (مروان العطية) حيث إنّ عدد الأسماء الممدودة التي وردت في رَوِيَّ القصيدة بلغ خمسةً وثمانين اسماً ، إضافةً إلى سبعة أسماء ممدودة أوردها الشاعر في ثنايا أبيات القصيدة ؛ وذلك في الأبيات التي تحمل الأرقام : (٧٧،١،٢،١٥،٣٨،٥٣،٦٠) .

ولنأخذ من مطلع القصيدة الغزليَّ مثلاً لذلك ، يقول الحارث بن حلزة :

آذنتنا ببينها أسماءُ ∴ ربّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثّواءُ

بعدَ عهدٍ لها ببرقةِ شمَّا ∴ ءَ فأدنى ديارِها الخلصاءُ

فالمُحَيَّاةُ فالصِّفاحُ فأعْناقُ ∴ فتاقٍ فعاذبٍ فالوفاءُ

فريـاضُ القطا فأوديةُ الشُّرْ ∴ بِ فالشُّعبتانِ فالأبلاءُ

لا أرى من عهدتُ فيها فأبكي الـ ∴ يومَ دلهاً وما يردُّ البكاءُ

وبعينيكَ أوقدتْ هندٌ النّا ∴ رَ أصيلاً تُلْوِي بها العلياءُ

أوقدتْها بينَ العقيقِ فشخصينِ ∴ بعودٍ فما يلوحُ الضِّياءُ

فتنوَّرتُ نارها من بعيدٍ ∴ بخزازٍ هيهاتَ منكَ الصّلاءُ

فقد بدأ الحارث معلقته بأن الحبيبة أعلمته بفراقها ، ومع أن هناك من الأشخاص مَن تُمَلُّ إقامتُهم ، فإنّها مهما طالت إقامتها فلن يملَّها ، وقد أصبحت بعيدةً ، بينه وبينها ديارٌ وقفارٌ ، بعد أن كان لهما ذكرياتٌ جميلةٌ في مواضعَ كثيرةٍ ، وأنه كثيرًا ما تردد على هذه الأماكن فما كان يرى محبوبته في أيٍّ منها ، فيبكي ، ولكن ماذا كان يُجدِي البكاءُ ، وكان آخر عهده بها نارًا أوقدتها من بُعْدٍ شاسعٍ – وهي مرتحلة – فأخذ ينظر إلى هذه النار ، ولكنها كانت خافتةً لبعدها عنه كثيرًا فلم يحس لها دفئًا .هذا هو المعنَى المُجملُ للأبيات أعلاه ، وإذا دلفنا إلى البيان الصرفي للأسماء الممدودة بهذه القطعة الغزلية ، فيَجْمُلُ بنا أن نورده على هذه الهيئة :

الاسم الممدود	تحليلُهُ صرفياً
أسماء	وهو هنا علمٌ على محبوبة الشاعر ، وهو في الأصل جمعُ (اسم) على (أفْعَال) وأصلُ همزته واوٌ ، قُلبت همزةً لتطرفها إثر الألف ، ونظيره من الصحيح : أحْمَال ، وأكْبَاد ، فهو علم منقول من هذا الجمع .
الثَّوَاء	الإقامة ، من : ثَوَى يَثْوِي ثَوَاءً ، يقالُ : ثَوَى الرجلُ إذا أقامَ ، وأثْوَى كذلك ، فالثواء على هذا مصدرُ غيرُ قياسيّ ، فهو يقع تحت القسم الرابع من أقسام الاسم الممدود عند العكبري ؛ وهو قسم الأسماء الممدودة الخارجة عن المصادر القياسية ، والجموع والصفات .
شمّاء	اسم موضع ، والهمزة فيه للتأنيث .
الخَلْصَاء	اسم موضع ، والهمزة فيه للتأنيث .

الاسم الممدود	تحليلُهُ صرفياً
الوَفَاء	اسم لهضبة بعينها ، والهمزة فيه للتأنيث .
الأبْلَاء	اسم أكْمَةٍ معروفة ، والهمزة فيه للتأنيث .
البُكَاء	مصدر صوتٍ معتلٍّ على صيغة (فُعال) من الفعل : بكى ، ونظيره من الصحيح : الصُّراخ ، والنُّبَاح .
العَلْياء	ما ارتفع من الأرض ، ويقال أراد بها العالية وهي الحجاز وما يليه من بلاد قيس ، والهمزة فيها للتأنيث .
الضِّيَاء	(فما يلوحُ الضياءُ) أي: فما يلوح ضوء نار المحبوبة وقيل : يعني ضياء الفجر . والضياء : اسم مصدر من (أضَاء)
الصِّلَاء	الصِلَاءُ هنا النّار ، وهو مصدر غير قياسيّ من (صَلَى).

ولْنأخذ كذلك خمسة من الأبيات التي أورد فيها الحارثُ ذكر الأعداء :

وأتانا عن الأراقمِ أنبا ∴ ءٌ وخطبٌ نعْنَى به ونُساءُ

أنَّ إخوانَنا الأراقمَ يغلُونَ ∴ علينا في قِيلهمْ إحفاءُ

يخلطونَ البريءَ منَّا بذي الذَّ ∴ نب ولا ينفعُ الخليَّ الخَلاءُ

زعموا أنَّ كلَّ من ضربَ العَيْـ ∴ ـرَ موالٍ لنا وأنَّا الوَلاءُ

أجمعوا أمرهمْ عشاءً فلمَّا ∴ أصبحوا أصبحتْ لهمْ ضوضاءُ

يقول : لقد جاءنا من بني تغلب أنباءٌ وأمورٌ خطيرة يتهمونا بها، وهم بذلك يسيئون إلينا ويظلموننا لأنهم يحمّلوننا ذنبَ غيرِنا ويكلّفوننا ما لا نطيق ، ويخلطون البريء بالمذنب ، وقد دبَّروا مؤامرتهم بليل ، وكانت لهم في الصباح جلبة ضوضاء ، اختلط فيها الصياح بأصوات الخيل والإبل .

وهنا أيضاً يعلو صوته مجلجلاً حاشداً كمّاً كبيرا من الأسماء الممدودة ، والكلمات الأخرى التي تحمل في طيّاتها المدَّ : (أتانا ، الأراقم ، أنباء ، نُساء ، إخواننا ، الأراقم ، يغلُون ، علينا ، قيلهم ، إحْفاء ، يخلطون ، البريء ، ولا ، الخلاء ، زعموا ، موالٍ ، لنا ، الولاء ، أجمعوا ، عِشاء ، أصبحوا ، ضوضاء) فتحاشُدُ اثنتين وعشرين كلمةً بها مدٌّ في مجموع خمسةِ أبياتٍ ، لهو أمر لافتٌ للنظرِ جالبٌ للتمعن ، مما يُقوّي فكرة إقامةِ هذه الدراسة . أمّا الأسماء الممدودة التي حوتها قافية هذه الأبيات ، فنتناولها كما يلي :

الممدود	تحليلُهُ صرفياً
نُساء	فعلٌ ماضٍ مبنيٌّ للمجهول ، من الفعل (أسَاء) وهو فعلُ مزيد فيه بهمزة التعدية ، على صيغة (أفْعلَ) والهمزة فيه أصلية ، وبما أنّ همزته تطرّفت إثر ألفٍ يجري عليه من المدّ ما يجري على الاسم الممدود .
إحْفاء	مصدرٌ ، ماضيه : (أَحْفَى) من أربعةِ أحرفٍ على وزن (أفْعَل) معتل اللام ، ونظيره من الصحيح : أكرَمَ إكْرَاماً .والإحفاء : الاستقْصَاء ، أحفيتُ الدابّة : كلّفتُها ما لا تُطيق.
الخَلَاء	بفتح الخاء:البراءة والترك ، قال النحاس في شرح هذه القصيدة :(الخَلاء : مصدر خلا ، يخْلُو) . ولكنّه مصدرٌ غير قياسيّ ؛ فالقياسيّ منه : الخُلُوّ أي على (فُعُول) .
الوَلاء	(أنّا الوَلاء ، أي: أصحاب الولاء) من المُوالاة . قال أبو بكر الأنباري في شرحه لهذه القصيدة : (والوَلاء : العَوْن واليَد ، ممدودٌ) وهو على هذا من الثلاثي (وَلِيَ) فالوَلاء : اسم من هذا الفعل ، أو مصدرٌ غيرُ قياسيّ .

الممدود	تحليلُهُ صرفياً
ضَوْضَاء	الضوضاء : الجَلَبَة واختلاط الأصوات ، وقال أبو بكر الأنباري في شرح هذا البيت :(الضَوْضاء : حرفٌ ممدودٌ وهو جمعٌ واحده ضوْضَاءة) فهو جمع على صيغة (فَعْلَال) وعلى هذا فهو غير قياسي في جموع التكسير .

ولمّا كان مَناطُ الدراسة بيانُ أثر الاسم الممدود في تأدية المعنى في معلقة الحارث بن حلّزة ، وقد بيّنا ذلك في مباحث هذه الدراسة ،ولمّا كانت المعلقة تنيفُ عن الثمانين بيتاً وكلّ بيت فيها يشمل اسماً ممدوداً واحداً على الأقل ، نكتفي بإيراد هذين النموذجين ، ونتخذهما شاهداً على دراستنا ، وشكلاً من أشكال سيرها في بقيّة الأبيات . وعلى نمط هذه الطريقة تسير قراءة الاسم الممدود في أبيات المعلقة كلها .

نص المعلّقة :

اختلفت المصادر التي أوردت نص المعلقة في عدد أبياتها ، وقد أوْجزتُ ذلك على النحو الآتي :

- ديوان الشاعر – صنعة مروان العطية – (٨٥) خمسةٌ وثمانون بيتاً[١] .
- ديوان الشاعر بعناية أميل بديع يعقوب (٨٦) ستةٌ وثمانون بيتاً[٢] .

(١) الديوان : ٦٦

(٢) الديوان .جمع وشرح وتحقيق د. اميل بديع يعقوب.دار الكتاب العربي.بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩١م : ص: ١٩

- رواية أبي بكر الأنباري (٨٤) أربعةٌ وثمانون بيتاً [١].
- رواية أبي جعفر النحّاس (٨٥) خمسةٌ وثمانون بيتاً[٢] .
- رواية الزوزني (٨٢) اثنان وثمانون بيتاً[٣] .
- رواية الخطيب التبريزي (٨٣) ثلاثةٌ وثمانون بيتاً[٤] .

فقد اختلف عدد الأسماء الممدودة في المعلقة تبعاً لروايات أصحاب المصادر التي أوردَتْهَا ، فأنت ترى أن جملة أبيات المعلقة تتراوح بين الستة والثمانين ، وبين الاثنين والثمانين ، وهذا الاختلاف لا يؤثر في قيمة الدراسة ؛ إذ إنّ العِبرة فيها تعود إلى ارتكاز الشاعر واعتماده على الأسماء الممدودة في رويِّ قافيته ، لا على كمِّ أبيتها .

قال الحارث[٥] (من بحر الخفيف):

١ــ آذنتنا ببينِها أسماءُ ∴ ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّوَاءُ[٦]

٢ــ بعدَ عهدٍ لنا ببُرْقَةِ شمّا ∴ ءَ فأدنى ديارِها الخَلْصَاءُ

٣ــ فالمُحيَّاةُ فالصِّفاحُ فأعلى ∴ ذي فِتَاقٍ فَعَاذِبٍ فالوَفَاءُ

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ٤٣٣

(٢) شرح القصائد التسع المشهورات .أبو جعفر النحّاس.ت/أحمد خطّاب.دار الحرية للطباع.بغداد.١٩٧٢م .ص:٥٤١

(٣) شرح المعلقات السبع : ١٤٦

(٤) شرح القصائد العشر : ٢٥١

(٥) انظر : ديوان الحارث . صنعة مروان العطية . ص ٦٦

(٦) آذنتنا : أخبرتنا ، وأسماء : اسم لامرأة يتغزل بها الشاعر .

٤ـ فريـاضُ القطـا فأوديـةُ الشُّـر ... بُـــبِ فالشُّـــعبتانِ فـــالأَبْلاءُ[١]

٥ـ لا أرى مـن عهـدتُ فيهـا فـأبكي الـ ... ـيـــومَ دَلْهـــاً ومـــا يـــردُّ البكـــاءُ

٦ـ وبعينيـــكَ أوقـــدتْ هنـــدٌ النّـــا ... رَ أصِـــيلاً تُلْـــوِي بهـــا العليـــاءُ

٧ـ أوقـدتْها بـينَ العقيـقِ فشَخْصَـيْنِ ... بعُـــودٍ كمـــا يلـــوحُ الضِّـــياءُ

٨ـ فتنـــوَّرتُ نارَهـــا مـــن بعيـــدٍ ... بخـــزازٍ هيهـــاتَ منـــكَ الصّـــلاءُ[٢]

٩ـ غيـرَ أنِّـي قـد أستعينُ علـى الهَـ ... ـمِّ إذا خـــفَّ بـــالثّويِّ النّجـــاءُ

١٠ـ بِزَفُـوفٍ كأنّهـا هِقلـةٌ أُمُّـ ... ـمُ رِئـــالٍ دويَّـــةٌ ســـقفاءُ[٣]

١١ـ آنسـتْ نَبْـأةً وأعْجَلهـا القُنْـ ... ـنَاصُ عصـراً وقـد دنـا الإمْسَـاءُ

١٢ـ فتـرى خلفَهـا مـنَ الرَّجـعِ والوَقْـ ... ـعِ مَنِيـــناً كأنّـــهُ إهبـــاءُ

١٣ـ وطِراقـاً مـن خلفِهـنَّ طـراقٌ ... سـاقطاتٌ تُلْـوِي بهـا الصَّـحراءُ

١٤ـ أتَلَهَّـى بهـا الهَـوَاجِرَ إذ كلْـ ... ـلُ ابـنِ هـمٍّ بليَّـةٌ عميـاءُ

١٥ـ وأتانـا عـن الأراقِـمِ أنْبـا ... ءٌ وخطـبٌ نُعنَـى بـه ونُسـاءُ[٤]

١٦ـ أنَّ إخْواننـا الأراقـمَ يَغْلُـو ... نَ علينـا فـي قِـيلهمْ إحْـفاءُ

١٧ـ يخلطـونَ البـريءَ منَّـا بـذي الذَّنـ ... ـب ولا ينفـعُ الخلـيَّ الخـلاءُ

١٨ـ زعمـوا أنَّ كـلَّ مـن ضـربَ العيـ ... ـرَ مـوَالٍ لنـا وأنّـا الـولاءُ

١٩ـ أجمعُـوا أمـرهُمْ بليـلٍ فلمَّـا ... أصـبحوا أصـبحتْ لهـمْ ضَوْضَـاءُ

---

(١) المحياة ، والصفاح ، وأعناق فتاق ، والعاذب ، والوفاء ، ورياض القطا ، ، والشعبتان ، والإبلاء كلها أسماء أمكنة .

(٢) تنوّرت : رأيتُ نور نارها .

(٣) الهقلة : النعامة ، ورئال : جمع رأل : ولد النعام .

(٤) الأراقم : لقب بني تغلب .

٢٠ـ مِن مُنَادٍ ومِن مجيبٍ ومِن تَصْـ ∴ ـــهَالِ خَيْـــلٍ خِـــلالَ ذاكَ رُغَـــاءُ
٢١ـ أيُّهـا النَّـاطقُ المرقِّـشُ عَنّـا ∴ عنـــدَ عمـــرٍو وهـــل لـــذاكَ بقـــاءُ ؟
٢٢ـ لا تَخَلْنَـا علـى غَرَاتِـكَ إنَّـا ∴ قبـلُ مـا قـد وَشَـى بنـا الأعـداءُ
٢٣ـ فبقينـا علـى الشَّـنَاءةِ تَنْمِـ ∴ ـــنا جُـــدُودٌ وعِـــزَّةٌ قعســـاءُ[1]
٢٤ـ قبلَ ما اليومِ بيَّضتْ بعيونِ النَّـ ∴ ـــاسِ فيهـــا تَعَـــيُّطٌ وإبَـــاءُ
٢٥ـ وكـأنَّ المنـونَ تَـرْدِي بِنَـا أَرْ ∴ عَـنَ جَوْنًـا يَنْجـابُ عنـهُ العَمَـاءُ
٢٦ـ مُـكْـَهرّاً علـى الحـوادثِ لا تـرْ ∴ تُـــوهُ للـــدَّهرِ مؤيِـــدٌ صَـــمَّاءُ
٢٧ـ أيَّمـا خُـطَّةٍ أردتـمْ فَـأدُّو ∴ هَـا إلينـا تَمْشِـي بهـا الأمْـلاءُ[2]
٢٨ـ إنْ نَبَشْتُم ما بينَ مِلْحةَ فالصَّا ∴ قِـبِ فِيـهِ الأمـواتُ والأحْيـاءُ[3]
٢٩ـ أو نقشتمْ فالنَّقشُ يَجْشَمُهُ النّا ∴ سُ وفيـــهِ الصَّـــحَاحُ والأَبْـــرَاءُ
٣٠ـ أو سَكَتُّمْ عنَّا فكُنَّا كمَن أغْـ ∴ ـمَضَ عينـاً فـي جَفْنِهـا أقـذاءُ
٣١ـ أو منعتمْ ما تُسْألونَ فمنْ حُدِّ ∴ ثْتُـــمُوهُ لـــهُ علينـــا العَـــلاءُ
٣٢ـ هـل علمْـتُم أيَّـامَ يُنْتَهَـبُ النَّـا ∴ سُ غِـــوْاراً لكـــلِّ حـــيٍّ عُـــوَاءُ
٣٣ـ إذ رفعنـا الجِمـالَ مـن سَعَفِ البَحْـ ∴ رَيْـنِ سـيراً حتَّـى نَهَانـا الحِسَـاءُ
٣٤ـ ثـمَّ ملنـا علـى تميمٍ فأحْرَمْـ ∴ ـــنا وفِينـــا بنـــاتُ مُـــرٍّ إمـــاءُ
٣٥ـ لا يقـيمُ العزيـزُ بالبلـدِ السَّهْـ ∴ ـــلِ ولا ينفـــعُ الـــذليلَ النَّجَـــاءُ
٣٦ـ ليسَ يُنْجِي مُوائلاً من حِذَارٍ منَّا ∴ رأسُ طَـــوْدٍ وحَـــرَّةٌ رَجْـــلاءُ
٣٧ـ فمَلكْنـا بـذلكَ النَّـاسَ حتَّـى ∴ مَلَـكَ المنـذرُ بـنُ مـاءِ السَّـماءِ

(١) الشناءة : الكراهة والبغضاء .
(٢) الأملاء : جمع ملأ وهم الأشراف .
(٣) نبشتم : نصّبتم وبحثتم .

٣٨ـ وهُوَ الرَّبُّ والشَّهيدُ على يَوْ ∴ مِ الحِيَارَيْنِ والبلاءُ بَلاءُ
٣٩ـ مَلِكٌ أضلعُ البريَّةَ مَا يُو ∴ جَدُ فيها لِمَا لديهِ كِفَاءُ
٤٠ـ فاتْرُكُوا الطِّيخَ والتّعَدِّي وإمَّا ∴ تَتَعَاشَوْا ففي التَّعَاشي الدَّاءُ[1]
٤١ـ واذكُرُوا حِلفَ ذي المجازِ وَمَا ∴ قَدَّمَ فيهِ العُهُودُ والكُفَلاءُ
٤٢ـ حَذَرَ الجَوْرِ والتَّعدِّي ولَنْ يَنْـ ∴ ـقُضَ ما في المَهَارِقِ الأهواءُ
٤٣ـ واعلموا أنَّنا وإيَّاكُمُ فيـ ∴ ـمَا اشْتَرَطْنا يومَ احْتَلَفْنَا سَوَاءُ
٤٤ـ أعليْنَا جُناحُ كِنْدةَ أن يَغْـ ∴ نَمَ غازِيهُمُ ومِنّا الجَزَاءُ ؟
٤٥ـ أمْ علينا جَرَّى حَنِيفَةَ أو ما ∴ جَمَّعَتْ مِنْ مُحَارِبٍ غَبْراءُ ؟
٤٦ـ أمْ جَنَايا بنِي عَتِيقٍ ؟ فمَنْ يَغْـ ∴ ـدِرْ فإنَّا مِنْ حربِهِمْ بُرَآءُ
٤٧ـ أمْ علينا جَرَّى العِبَادِ كما نِيـ ∴ ـطَ بِجَوْزِ المُحَمَّلِ الأعبَاءُ
٤٨ـ أمْ علينا جَرَّى قُضَاعةَ أمْ ليْـ ∴ سَ علينا فيما جَنَوْا أنْدَاءُ
٤٩ـ أمْ علينا جَرَّى إيَادٍ كما قِيـ ∴ لَ لِطَسْمٍ : أخوكُمُ الأبَّاءُ
٥٠ـ ليسَ منَّا المُضَرَّبونَ ولا قَيْـ ∴ سٌ ، ولا جَنْدلٌ ، ولا الحُدَّاءُ[2]
٥١ . عَنَناً باطِلاً وظُلماً كما تُعْـ ∴ ـتَرُ عن حُجْرةِ الرَّبيضِ الظباءُ
٥٢ـ وثمانونَ من تميمٍ بأيدِيـ ∴ ـهِمْ رماحٌ صُدُورُهُنَّ القضاءُ
٥٣ـ لَمْ يُخلُّوْا بَني رَزَاحٍ بِبَرْقا ∴ ءِ نَطَاعٍ لهُمْ عليهِمْ دُعَاءُ
٥٤ـ تَرَكُوهم مُلحَّبِينَ وآبُوا ∴ بِنِهابٍ يَصَمُّ منها الحُدَاءُ

(١) الطيخ : التكبّر ، والتعاشي : من عش] بصره إذا لم يبصر ، ويقصد هنا تجاهل الأمر .
(٢) جندل والحدّاء : اسمين لفارسين .

٥٥ـ ثُمَّ جاءوا بِسْتَرْجِعونَ فلم تَرْ ∴ جِعْ شَامَةٌ ولا زهْرَاءُ[١]

٥٦ـ ثَمَّ فاؤوا منهمْ بقاصِمةِ الظَّـ ∴ ـهْرِ ولا يَبْرُدُ الغليلَ الماءُ

٥٧ـ ثَمَّ خَيلٌ مِن بعدَ ذاكَ معَ الغَلْـ ∴ ـلاقِ لا رأْفَةٌ ولا إبْقاءُ[٢]

٥٨ـ ما أصَابوا من تغْلبيٍّ فمطْلُو ∴ لٌ عليهِ إذا تَوَلَّى العَفَاءُ

٥٩ـ كتكاليفِ قومِنا إذْ غَزَا المُنْـ ∴ ـذرُ هل نحنُ لابنِ هندٍ رِعَاءُ؟

٦٠ـ إذْ أحَلَّ العَلْيَاءَ قبَّةَ مَيسُو ∴ نَ فأدنَى ديارِها العوْصَاءُ[٣]

٦١ـ فتَأوَّتْ لهُ قراضِبةٌ مِن ∴ كُلِّ حَيٍّ كأنَّهمْ ألْقاءُ[٤]

٦٢ـ فهداهمْ بالأسْوَدَينِ وأمرُ الـ ∴ ـلّهِ بَلْغٌ يَشْقَى بهِ الأشقياءُ

٦٣ـ إذ تَمَنُّوْنهمْ غُرُوراً فساقَتْـ ∴ هُمْ إليكمْ أمْنيَّةٌ أشْرَاءُ[٥]

٦٤ـ لمْ يغرُّوكُمُ غُرُوراً ولكن ∴ رفعُ الآلُ جَمْعهمْ والضَّحَاءُ

٦٥ـ أيُّها الشانِئُ المُبلّغُ عنّا ∴ عنْدَ عمرٍو وهل لذاك انْتِهاءُ

٦٦ـ إنَّ عمراً لنا لدَيهِ خلالٌ ∴ غيرَ شكٍّ في كُلهنَّ البلاءُ

٦٧ـ ملِكٌ مُقْسِطٌ وأفضلُ من يمْـ ∴ ـشِي ومِن دُونِ ما لديهِ الثَّناءُ

٦٨ـ إرَميٌّ بمثلهِ جالت الجِنْـ ∴ ـنُ فآبتْ لِخَصْمِهَا الإجْلاءُ

٦٩ـ مَنْ لنا عِندهُ من الخيْرِ آيَا ∴ تٌ ثلاثٌ في كُلّهنّ القضَاءُ

---

(١) شامة : بقعة سوداء ، والمقصود لم نرجع لهم لا بيضاء ولا سوداء من الغنائم .

(٢) الغلّاق : فارسٌ أغار على بني تغلب .

(٣) ميسون : اسم امرأة ، والعوصاء : اسم مكان .

(٤) تأوّت : انقادت وتجمعت ، قراضبة : جمع قرضاب سيف ،ويقصد به الفرسان . ألْقاء : جمع لقوة وهوالعقاب .

(٥) أشراء : كاذبة .

٧٠ـ آيـةٌ شـارِقُ الشَّقيقـةِ إذ جـا ∴ وُوا جميعـاً لكـلِّ حـيٍّ لـواءُ[١]

٧١ـ حولَ قيسٍ مستلئمينَ بكبشٍ ∴ قَرَظـيٍّ كأنَّـهُ عَـبْلاءُ[٢]

٧٢ـ وصَتِيتٍ مـنَ العَوَاتـكِ لا تَنْـ ∴ ـهـاهُ إلاّ مُبْيَـضَّةٌ رَعْـلاءُ[٣]

٧٣ـ فجَبَهْناهُـمُ بضـربٍ كمـا يَخْـ ∴ ـرُجُ مـن خُرْبـةِ المَـزادِ المـاءُ

٧٤ـ وحملنـاهُمُ علـى حَـزْنِ ثَهْـلا ∴ نَ شِـلالاً ودُمِّـيَ الأنْسَـاءُ[٤]

٧٥ـ وفعلنَـا بهـمْ – كمـا علِـمَ اللـ ∴ ـهُ – ومَـا إنْ للحَـائنينَ دِمَـاءُ

٧٦ـ ثُـمَّ حُجْـراً أَعْنـي ابـنَ أمِّ قَطَـامٍ ∴ ولـهُ فارسيّـةٌ خَضْـراءُ

٧٧ـ أسَـدٌ فـي اللّقـاءِ وَرْدٌ همُـوسٌ ∴ وربيـعٌ إنْ شـنَّعَتْ غَبْـراءُ

٧٨ـ فردَدْنـاهُمُ بطعْـنٍ كمَـا تُنْـ ∴ ـهَزُ عـن جِمَّـةِ الطَّـوِيِّ الـدِّلاءُ[٥]

٧٩ـ وفككنـا غُـلَّ امرئِ القيسِ عنـهُ ∴ بعـدما طـالَ حبسـهُ والعَنَـاءُ

٨٠ـ وأقَـدْنَاهُ رَبَّ غسَّـانَ بالمُنْـ ∴ ـذرِ كَرْهـاً إذْ لا تُكـالُ الـدِّماءُ

٨١ـ وفـدَينَاهُمُ بتسـعةِ أمْـلا ∴ كٍ كِـرَامٍ أسلابُهُـم أغْـلاءُ[٦]

٨٢ـ ومـعَ الجَـوْنِ جَـوْنِ بَنِـي الأوْ ∴ سِ عَنـودٌ كأنَّهـا دَفْـوَاءُ[١]

---

(١) الشقيقة : اسم مكان بين رامتين . لواء : علم .

(٢) قيس بن معد يكرب من ملوك حمير . استلأم : لبس عدة الحرب. قرظيّ : نسبة إلى القرظ ويريد هنا الضخامة . علباء : ضخمة .

(٣) الصتيت : الجماعة من الناس . والعواتك : الشرفاء . الرعناء هنا : الكتبة المدججة بالسلاح .

(٤) الأنساء : جمع عرق النسا .

(٥) الطويّ : البئر . الدلاء : جمع دلو .

(٦) أغلاء : غالية الثمن .

٨٣ـ ما جَزِعْنا تحتَ العَجَاجةِ إذ وَلْـ ∴ ـلَتْ بأقْفَائِهَا وحَرَّ الصِّلاءُ

٨٤ـ وولدنا عمرَو بنَ أمِّ أناسٍ ∴ مِن قريبٍ لمَّا أتانا الحِبَاءُ[٢]

٨٥ـ مثلُها يُخْرِجُ النَّصيحةَ للقوْ ∴ مِ فَلاةٌ مِن دونِها أفْلاءُ[٣]

(١) عنود : شديدة العناد . دفواء : هضبة .

(٢) ولدنا : من أولادنا . الحِباء : المهر .

(٣) أفلاء : جمع فلاة .

نتائج البحث وتوصيتُه

وأختتمُ هذا البحث بما توصلتُ إليه من نتائج ، وتوصيات. وتلخصتْ نتائجُهُ في النقاط التالية :

١- وضعَ النُّحاةُ والصرفيون صفاتٍ واضحةً ومحددةً لِيُعلم بها الاسم الممدود من شبيهِهِ المقصورِ مدًّا وقصْراً .

٢- وجودُ الألف التي تليها الهمزةُ في آخر الاسم الممدود يُعطِي هذا الاسم خاصيّةً معيّنةً تُمكن المتكلم به من رفْعِ صوته إلى أقصى حدٍّ متى ما شاء ذلك ؛ فالألفُ حرفُ مدٍّ بطبيعته ، ثم إنّه يزداد طولاً وامتداداً إذا أعقبته الهمزة .

٣- إنّ الهمزة التي ينتهي إليها بناء الاسم الممدود تجعل صوتَ المتكلّمِ به شديداً مجهوراً مُنفتحاً مسموعاً من أماكن بعيدة .

٤- هناك ظروف اجتماعية معيّنة أنتجت معلقة الحارث بن حلزة وأختها معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي ؛ إذْ إنّ قبيلتَي بكْرٍ ، وتغلِب ابنَي وائل اجتمعتا عند المَلِك عمرو بن هند ليحكُمَ بينهما في ما نشب بينهما من خلافٍ آنذاك .

٥- أثبتت جميع المصادر التي أوردت نصّ المعلقة أنّ الشاعرَ الحارث بن حلّزة قد ارتجل هذه المعلقة ارتجالاً أمامَ الحاضرين ، وأنّه أنشدها الملك عمرو بنَ هندٍ من وراء أستارٍ وحُجُب .

٦- قد تعمّد الشاعرُ استخدامَ الاسم الممدود ليكون قافيةً لقصيدته ؛ ليتمكّن – والحالةُ تلك – من إسْمَاع صوته للملك وللحاضرين في مجلسه .

٧- جودةُ القصيدة وطلاوتُها وجهارةُ صوتِ صاحبها جعلت أُمَّ الملكِ تُوعز لابنها بأنْ يُدْنِى الشاعرَ من مجلسه ؛ فرُفِعت له الاستار سِتْراً فسِتْراً إلى أن بلغ مجلس الملك ، فأدناه وقرّبه وأكل معه من جفنته ، ولم يأمرْ بنضح الماء على أثره .

٨- قد كسِبَ الشاعرُ نتيجة المُرافعة التي جرت بين قبيلته وقبيلة تغلبَ أمامَ الملك فقد أصبح الملكُ يؤثرُ بني بكرٍ على بني تغلبٍ على عكس ما كان قبل حادثة اللقاء هذه ، وهذا كلّه بفضل السمات التي يتّصفُ بها الاسم الممدود الذي جعله الشاعرُ قافيةً لقصيدته .

وتوصي هذه الدراسة بأن يُتّخذ من الأبنية الصرفية للأسماء أو الأفعال مُنطَلَقاً جديداً لدراسة النصوص الشعرية وتحليلها في مختلف العصور من أجل الوصول إلى أفضل الأفكار التي أنتجها الشعر العربيّ قديماً وحديثاً .

المصادر والمراجع

١. الأصوات اللغويّة . إبراهيم أنيس . مطبعة نهضة مصر . القاهرة . ب/ت .

٢. الأصول في النحو . ابن السرّاج .أبو بكر محمد بن السرّي بن سهل .ت/د.عبد الحسين الفتلي .مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان . ب/ت .

٣. أسباب حدوث الحروف.ابن سينا . أبو علي الحسين بن عبد الله . ت/ محمد حسان الطيان ، ويحيى علم . مطبوعات مجمع اللغة العربية.دمشق.ب/ت .

٤. البُرصان والعُرجان والعُميان والحُولان . الجاحظ . أبو عثمان عمر بن بحر ت / عبد السلام محمد هارون . دار الجيل . بيروت. طبعة ١٩٩٠م .

٥. توضيح المقاصد والمسالك . المُراديّ . ابن امّ قاسم . تحقيق / الأستاذ الدكتور : عبد الرحمن علي سليمان . دار الفكر العربي.القاهرة.الطبعة الأولى : ٢٠٠١م .

٦. خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب .البغدادي . عبد القادر بن عمر . ت/ عبد السلام محمد هارون . مكتبة الخانجي . القاهرة .ط٤/ ١٩٩٧م .

٧. ديوان الحارث بن حلزة . جمع وشرح وتحقيق : د. اميل بديع يعقوب. دار الكتاب العربي . بيروت. الطبعة الأولى ١٩٩١م

٨. ديوان الحارث بن حلزة . صنعة مروان العطية .دار الإمام النووي للنشر. دمشق. ط١ (١٩٩٤م)

٩. الزهرة . الأصبهاني . أبو بكر محمد بن داود . ت/ إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار. الأردن. ط٢(١٩٨٥م)

١٠. سر صناعة الإعراب . ابن جني .أبو الفتح عثمان . ت/ د. حسن هنداوي دار القلم . دمشق . ط٢ ١٩٩٣م

١٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بعناية محمد محي الدين عبد الحميد. دار التراث. القاهرة .ط٢٠ /١٩٨٠م .

١١- شرح التصريح على التوضيح .الأزهري ، خالد بن عبد الرحمن . ت/ د. محمد باسل عيون السود . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ط الأولى ٢٠٠٠م .

١٢- شرح جمل الزجاجي .ابن عصفور . أبو الحسن علي بن مؤمن . بعناية فواز الشعّار . دار الكتب العلمية . بيروت ط١ ١٩٨٨م .

١٣- شرح شافية ابن الحاجب . الاستراباذي . ركن الدين حسن بن محمد . ت/ د. عبد المقصود محمد. مكتبة الثقافة الدينية.القاهرة.ط الأولى٢٠٠٤م.

١٤- شرح القصائد التسع المشهورات . النحّاس . أبو جعفر أحمد بن محمد . ت/أحمد خطّاب . دار الحرية للطباع . بغداد.١٩٧٢م .

١٥- شرح القصائد السبع الطوال . الأنباري . أبو بكر محمد بن القاسم . ت/ عبد السلام محمد هارون . دار المعارف . القاهرة . (ب/ت) .

١٦- شرح القصائد العشر . التبريزي . الخطيب يحيى بن علي . بعناية إدارة الطباعة المُنيرية ، لصاحبها محمد منير الدمشقي . ط٢ (١٣٥٢هـ) .

١٧- شرح كتاب سيبويه . السيرافي . أبو سعيد الحسن بن عبد الله . ت/ أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط الأولى ٢٠٠٨م .

١٨- شرح المعلقات التسع . الشيباني . أبو عمر إسحاق بن مِرار . ت / عبد المجيد همو . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

١٩- شرح المعلقات السبع. الزوزني . أبو عبد الله الحسين بن أحمد . لجنة التحقيق في الدار العالمية (ب/ت) .

٢٠- شرح المعلقات العشر . الشنقيطي . أحمد الأمين . ت/ محمد عبد القادر الفاضلي. المكتبة العصرية .صيدا.بيروت. ط اللأولى ٢٠٠١م .

٢١- الشعر والشعراء .ابن قتيبة . الدينوري عبد الله بن عبد المجيد . ت/أحمد محمد شاكر.دار المعارف.القاهرة . ١٩٥٨م .
٢٢- الكتاب . سيبويه. أبو بشر عثمان بن قنبر . ت/ عبد السلام محمد هارون. م الخانجي . القاهرة . ط٣ ، ١٩٨٨م .
٢٣- اللباب في علل الإعراب. العكبري . أبو البقاء عبد الله بن الحسين . . ت/ د.عبد الإله نبهان . دار الفكر المعاصر.لبنان . بيروت.ط١ ١٩٩٥م .
٢٤- المستقصي في علم التصريف . الخطيب .الدكتور عبد اللطيف محمد .دار العروبة للنشر والتوزيع . الكويت . الطبعة الأولى ٢٠٠٣م .
٢٥- المقتضب . المبرد . محمد بن يزيد . ت/ محمد عبد الخالق عضيمة . لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة ط/ ١٩٩٤م .
٢٦- المقصور والممدود . ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق . ت/ د. محمد محمد سعيد . مطبعة الأمانة . القاهرة ١٩٨٥م .
٢٧- المقصور والممدود . ابن ولاد ، أبو الحسن محمد بن الوليد . ت/ بولس برونله مطبعة ليدن . ١٩٠٠م .
٢٨- المقصور والممدود . الفرَّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد . ت/ د. عبد العزيز الميمني. دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٧م ،
٢٩- المقصور والممدود . القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم . ت/ د. أحمد عبد المجيد هريدي . مكتبة الخانجي . القاهرة . ١٩٩٩م .
٣٠- همع الهوامع . السيوطي ، جلال الدين . ت/ د.عبد العالم مكرم.دار البحوث العلمية .الكويت . ١٩٨٠م.